سلسلة في ظلال السنة

الحديث الخامس

علامات الساعة

الدكتور

الشيخ سالم بن عبد الغني الرافعي

٥

علامات الساعة

متن الحديث

عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ**

تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم في أول الإيمان برقم (١).

هذا حديث عظيم عن رسول الله ﷺ، بيّن فيه جملة صالحة من أحكام الدين.

وموضوعنا في هذه الرسالة هو قوله ﷺ في جواب سؤال جبريل عليه السلام: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا[1]؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

فقد بيّن هذا الحديث مع غيره من النصوص: أن وقت قيام الساعة ممّا استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، قال تعالى: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ**

(١) أمارتها، أي: علامتها.

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[١].

إلا أن الله سبحانه وتعالى، وإن أخفى علمها عن خلقه، فقد وضع لها علامات، إذا وقعت دلت على قرب قيام الساعة.

وهذه العلامات تسمى: علامات الساعة أو أشراط الساعة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٢].

وقد قام النبيّ ﷺ ببيان هذه العلامات غاية البيان، ومن تتبع الأحاديث النبوية الشريفة، وجد فيها ذلك واضحاً جلياً.

وأُفضل قبل البحث في علامات الساعة، أن أعرّج قليلاً على بيان ثمرة البحث في هذا الموضوع، ومعرفة الفوائد المرجوّة منه.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٨.

الفوائد المرجوّة من معرفة علامات الساعة

البحث في علامات الساعة له فوائد عظيمة منها:

١ ـ أنه من جملة الإيمان بالغيب الذي أُمرنا به.

٢ ـ تثبيت الإيمان في قلوب الناس. فحين يخبر النبيّ ﷺ عن بعض المغيّبات، ثم تقع وفق ما أخبر به، كأنه كان يراها أو يشاهدها عياناً، عندها يزداد اليقين بهذا الدين، وتعظم هيبتُه في القلوب.

٣ ـ بعض علامات الساعة تضمّنت: الإعلام عن فتن وشرور سوف تقع في حياة الناس، وفي الإفصاح عنها تحذير للمسلم من الوقوع فيها، وتنبيه له إلى التمسك بما يعصمه من شرورها. ومثال ذلك: أن النبيّ ﷺ حين أخبر عن السنوات الخدّاعات، التي ستأتي على الناس، فتنعكس فيها الأمور وتنقلب فيها الموازين، ثم نرى معالمها في أيامنا التي نعيشها، لم

ننخدع بالشعارات البرّاقة، أو بالرايات الزائفة التي تدعو إلى النصر والتحرير، لأنّا نعلم أنّا في زمن يسود فيه الخداع والزيف، وأنّ علينا التحري والتثبت حتى يتبيّن الأمر.

٤ ـ بعض العلامات تحدثت عن خير وفتح ونصر سوف ينزل بالأمة، ففي الإخبار بها تبشير للمؤمنين، وبث للأمل في نفوسهم، سيما عند الذين عاشوا سني القهر والاضطهاد وغربة الدين في حياتهم.

❋ ❋ ❋

أقسام علامات الساعة

قسّم العلماء علامات الساعة إلى قسمين: صغرى وكبرى. أما الصغرى فيقصد بها: العلامات التي تجري وفق العادة. وأما الكبرى فهي: العلامات التي تُخرق فيها العادة. قَالَ الْقُرْطُبِيّ رحمه الله: عَلَامَات السَّاعَة عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يَكُون مِنْ نَوْعِ الْمُعْتَاد، أَوْ غَيْره. وَالْمَذْكُور في حديث جبريل: الْأَوَّل. وَأَمَّا الْغَيْر: مِثْل طُلُوع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا، فَتِلْك مُقَارِبَة لَهَا أَوْ مُضَايِقَة، وَالْمُرَاد هُنَا الْعَلَامَات السَّابِقَة عَلَى ذَلِكَ، وَاَللَّه أَعْلَم[1].

(١) فتح الباري (١/١٢١).

والعلامات الصغرى قد وقع أكثرها، وأما الكبرى فلم يقع بعدُ واحدة منها.

❋ ❋ ❋

علامات الساعة الصغرى

أول العلامات الصغرى هي بعثته ﷺ، حيث قال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[(١)]، فمجرد بعثته ﷺ دليل على اقتراب الساعة.

قال اِبْن التِّين رحمه الله: اُخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْله: «**كَهَاتَيْنِ**»، فَقِيلَ: كَمَا بَيْن السَّبَّابَة وَالْوُسْطَى فِي الطُّول. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَيْسَ بَيْنه وَبَيْنهَا نَبِيّ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ فِي «الْمُفْهِم»: حَاصِلُ الْحَدِيث تَقْرِيب أَمْر السَّاعَة وَسُرْعَة مَجِيئِهَا»[(٢)].

وحديث عمر رضي الله عنه الذي بين أيدينا، لم يبيّن سوى علامتين من علامات الساعة الصغرى، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير برقم (٤٩٣٦) من حديث سهل بن سعد، ومسلم في الجمعة برقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله، واللفظ له.

(٢) أفاده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٤٩/١١).

أفردته بهذه الرسالة، مع وجود علامات أخرى في غيره من الأحاديث، لأن ما ذكره يندرج تحته جملة من علامات الساعة الصغرى.

❋ ❋ ❋

العلامة الأولى في حديث عمر رضي الله عنه

ونبدأ أولاً، بعون الله تعالى، بشرح العلامة الأولى، وهي قوله ﷺ: «**أن تلد الأمة ربتها**». فما المراد بهذه العلامة؟

اختلف العلماء في معناها، وأرجح الأقوال فيها: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولدُ أمَّه معاملة السيّد لأمَته[١]، من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليها «**ربَّتها**» مجازاً لذلك[٢].

وهذا المعنى موجود في حياتنا، إذ صار الابن يؤثر زوجته على أمه، ويكثر من إهانتها وعقوقها، وكذا

(١) الأمة: هي المرأة الواقعة تحت الرق والعبودية، ويطلق لفظ الأمة أيضاً على المرأة عموماً.

(٢) وهذا الذي رجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٢٢/١).

البنت صارت هي المتحكّمة في أمها، كأنها هي السيّدة عليها.

وقوله ﷺ: «**ربتها**» لا يعني اختصاص هذا العقوق بالبنات، باعتبار أن اللفظة مؤنثة، بل يشمل الأبناء أيضاً، وقد ورد تذكير هذه اللفظة في رواية أخرى عند مسلم، ولفظها: «**إذا ولدت الأمة ربّها**»[١].

❋ ❋ ❋

العلامة الثانية في حديث عمر رضي الله عنه

وأما العلامة الثانية فهي قوله ﷺ: «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». فالحفاة جمع: حافي، والعراة جمع: عاري، وهما معروفان. وأما العالة فجمع: عائل، وهو الفقير، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾[٢]، أي: فقيراً فأغناك.

و«**رِعاء الشاء**» هم رُعاة الأغنام، وفي رواية: «**رعاء البَهم**» ـ بفتح الباء وإسكان الهاء ـ وهي الصغار من أولاد

(١) أخرجها مسلم في الإيمان برقم (٥).
(٢) سورة الضحى، الآية: ٨.

الغنم، والواحدة: بَهْمة[١]. وقوله ﷺ: «**يتطاولون في البنيان**»، أي: يبنون العمارات الشاهقة الضخمة، كناطحات السحاب.

وقد اختلف العلماء في هذه العلامة: أهي دالة على ذم فاعلها، أم على مدحه، أم أنها لا تدل على ذم ولا مدح، وإنما هي مجرد إخبار عن أشياء غيبية سوف تحدث قبل قيام الساعة؟

والذي يبدو أن هذه العلامة والتي قبلها، يجمعهما معنى واحد، وهو اختلال الموازين، وانعكاس الأحوال قبل قيام الساعة، وهو أمر مذموم وليس محموداً.

ولكن أين وجه الذم في العلامة الثانية؟ فلو رأينا أهل البوادي الذين كانوا بالأمس حفاة عراة فقراء، قد وسّع الله عليهم بالأموال، حتى صاروا يبنون العمارات الضخمة، فأين الذم في ذلك؟

والجواب: أنه جاءت رواية عند مسلم، تزيد هذه العلامة بياناً، وهي قوله ﷺ: «**وإذا كانت العراةُ الحفاةُ**

(١) النووي بشرح مسلم (١/١٦٣).

رؤوسَ الناس، فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها»[١]. فهذه الرواية أضافت إضافة مهمة، وهي أن الحفاة العراة، ليسوا فقط يتطاولون في البنيان، بل يصبحون رؤوس الناس، أي: أصحاب الأمر والنهي فيهم.

ولكن بقي السؤال: أين الذم في هذا؟

والجواب مرة ثانية: أن المقصود، والله أعلم، بهذا هو: إخبار النبيّ ﷺ عن اختلال الأمور في حياة الناس، فبدلاً من أن تُحترم الأم، وتكرّم، وتُسمع كلمتُها، إذا بها تصبح كالجارية عند أولادها. وبدلاً من أن يتولى أمورَ الناس، مِن حُكم وسياسة وإفتاء وتدريس وتعليم، أهلُ العلم والبصيرة والرأي فيهم، إذا به يتولاها الأعرابُ من أهل البوادي، الذين لا علم لهم ولا بصيرة ولا رأي في الأعم الغالب.

قال القرطبي رحمه الله: المقصود بهذا الإخبار عن تبدل الحال، بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم، وتنصرف هممهم

(١) أخرجه البخاري في العلم برقم (٥٩).

إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان[١].

ويؤكد هذا المعنى حديثٌ عن رسول الله ﷺ، جاء فيه: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خداعاتٌ، يصدّق فيها الكاذبُ، ويكذّبُ فيها الصادقُ، ويؤتمن فيها الخائنُ، ويخوّنُ فيها الأمينُ، وينطق فيها الرويبضة**». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»[٢].

وحديث آخر، جاء فيه: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: «**أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**»، قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٣].

---

(١) فتح الباري (١/١٢٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن برقم (٤٠٣٦)، وأحمد (١/٢٩١) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٨٧).

(٣) مسلم برقم (٥).

ويدخل تحت هذه العلامة، وهي انقلاب الموازين وتبدل الأحوال، كثير من علامات الساعة الصغرى، مثل قوله ﷺ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ**[1] **الْوَاحِدُ**»، وزاد في رواية: «**ويشرب الخمر**»[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: كَأَنَّ هَذِهِ الْأُمُور الْخَمْسَة خُصَّتْ بِالذِّكْرِ لِكَوْنِهَا مُشْعِرَة بِاخْتِلَالِ الْأُمُور الَّتِي يَحْصُل بِحِفْظِهَا صَلَاح الْمَعَاش وَالْمَعَاد، وَهِيَ: الدِّين، لِأَنَّ رَفْع الْعِلْم يُخِلّ بِهِ. وَالْعَقْل، لِأَنَّ شُرْب الْخَمْر يُخِلّ بِهِ. وَالنَّسَب، لِأَنَّ الزِّنَا يُخِلّ بِهِ. وَالنَّفْس وَالْمَال، لِأَنَّ كَثْرَة الْفِتَن تُخِلّ بِهِمَا[3].

❋ ❋ ❋

(١) قال القرطبي في التذكرة (٢/٤٩٢): «**حتى يكون لخمسين امرأةً القيم الواحد**»، أي: الذي يسوسهن، ويقوم على أمورهن، من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا أو قريباً منه بالأندلس.

(٢) أخرجه البخاري في العلم برقم (٨٠).

(٣) الفتح (١/١٧٩).

مجيء المهدي

وباختلال الأمور المذكورة، وهي التي يسميها العلماء بالضرورات الخمس، يفسد عيش الناس وينتشر الظلم في حياتهم. وحينها يأذن الله تعالى بخروج المهدي، ليطوي به صفحة الظلم من حياة الناس، وتبدأ معه حياة جديدة ملؤها العدل والخير، وفيها يسود الإسلام وتعلو رايته.

وخروج المهدي يندرج تحت علامات الساعة الصغرى. فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً**»(١).

ففي هذا الحديث بشارة عظيمة للأمة المسلمة، فبعد أن ذاقت ألواناً من الظلم والاضطهاد، وسيم أبناؤها صنوفاً من التعذيب والتهجير، أنجز الله تعالى

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٦)، والحاكم (٤/٥٥٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٢٩): وهو كما قالا.

ما وعدهم به من التمكين في الأرض، فيأذن سبحانه بخروج المهدي الذي يحكم بالشريعة الغراء، ويعيد مجد الخلافة الإسلامية، وتفتح في أيامه الأمصار، وتنتشر الخيرات والأمطار، حتى يزهد الناس بالدرهم والدينار.

❋ ❋ ❋

صفات المهدي

وحتى لا يُشكل أمر المهدي على الناس، جلّى رسول الله ﷺ لهم كل ما يتعلق به، من اسمه وصفته، وكيفية خروجه، ومدة حكمه، ليبقى الناس على بيّنة من أمره، فلا يدّعيه كل أحد.

❋ ❋ ❋

اسم المهدي

روى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يَبعثَ فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض**

قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجَوْراً»[١].

وروت أم سلمة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[٢].

فبهذين الحديثين يتبين لنا: أن المهدي هو من ولد فاطمة رضي الله عنها، وأن اسمه هو: محمد بن عبدالله.

ومن هنا يبدأ الاختلاف في المهدي بين أهل السنَّة والجماعة، وبين الشيعة. فكلا الفريقين ينتظر المهدي، إلا أن المهدي الذي ينتظره أهل السنَّة، غير المهدي الذي ينتظره الشيعة.

فالمهدي عند أهل السنَّة، اسمه: محمد بن عبدالله، ويأتي ليقيم العدل في الأرض، وهو استمرار لخلافة الراشدين.

وأما المهدي عند الشيعة فهو محمد بن الحسن العسكري، خاتمة الاثني عشر إماماً، الذين تدعي الشيعة عصمتهم، وقد ولد بزعمهم عام ٢٥٦ للهجرة، ثم توفي

---

(١) أخرجه أبو داود في المهدي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٨٤).

أبوه عام ٢٦٠، مخلفاً بعده محمداً هذا، ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه في مدينة سامراء، فاختفى فيه عام ٢٦٥ وإلى اليوم، وكان عمره لما اختفى تسع سنين أو دونها[١].

وقد ترجمه الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال:

المنتظر الشريف، أبو القاسم، محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب، العلوي الحسيني.

خاتمة الاثني عشر سيّداً، الذين تدعي الإمامية عصمتهم ـ ولا عصمة إلا لنبيّ ـ ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت، حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

فوددنا ذلك ـ واللهِ ـ وهم في انتظاره من أربعمائة

(١) انظر: العبر في خبر من غبر للذهبي، والوافي بالوفيات للصفدي.

وسبعين سنة، ومن أحالك على غائب لم ينصفك، فكيف بمن أحال على مستحيل؟! والإنصاف عزيز. فنعوذ بالله من الجهل والهوى.

ثم تابع الذهبي قائلًا: فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات عن غير عقب. قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه.

وقيل: بل ولد له بعد موته، من أمة اسمها: نرجس، أو سوسن، والأظهر عندهم أنها: صقيل، وادعت الحمل بعد سيدها، فأوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، فتعصب لها جماعة، وله آخرون، ثم انفشّ ذلك الحمل، وبطل، فأخذ ميراث الحسن أخوه جعفر، وأخ له.

وكان موت الحسن سنة ستين ومئتين... إلى أن قال[١]: وزادت فتنة الرافضة بصقيل وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، وجعلت في قصره إلى أن ماتت في دولة المقتدر. قلت[٢]: ويزعمون أن محمداً دخل سرداباً في

(١) أي: ابن حزم.
(٢) القائل هنا: هو الذهبي.

بيت أبيه، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين. وقيل دون ذلك. قال ابن خلكان: وقيل: بل دخل، وله سبع عشرة سنة، في سنة خمس وسبعين ومئتين، وقيل: بل في سنة خمس وستين، وأنه حي.

نعوذ بالله من زوال العقل. فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نصّ لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟ هذا هَوَس بيّن. إن سلطناه على العقول ضلت وتحيّرت، بل جوّزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو ردّ الحق الصحيح كما هو دَيْدَن الإماميّة. وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة. انتهى كلام الذهبي[1].

والذي أراه ويظهر لي، أن الخلاف بين أهل السنَّة والشيعة في موضوع المهدي وغيره من المواضيع، لن ينحسم حتى يخرج المهدي الذي ورد اسمه في حديث ابن مسعود، وحينها يتحقق الشيعة أنهم كانوا في ضلال، فإما أن يلحقوا بركب أهل السنَّة ومهديّهم، وإما

(١) سير أعلام النبلاء (١١٩/١٣).

أن يلحقوا بأعداء المهدي، إذ أن الأمة في زمن المهدي سوف ترتفع خلافاتها كما سيمر معنا بإذن الله تعالى.

❋ ❋ ❋

بيان صفته الخِلقية

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المهدي مني: أجلى الجبهة**[١]، **أقنى الأنف**[٢]، **يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين**»[٣].

❋ ❋ ❋

بيان صفته الخُلقية

روى علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه

(١) أَجْلَى الْجَبْهَة، أي: مُنْحَسِر الشَّعْر مِنْ مُقَدَّم رَأْسه أَوْ وَاسِع الْجَبْهَة.

(٢) قَالَ فِي النِّهَايَة: الْقَنَا فِي الْأَنْف: طُوله ورقَّة أَرْنَبَته مَعَ حَدَب فِي وَسَطه، يُقَال: رَجُل أقنى وَامْرَأَة قَنْوَاء.

(٣) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٨٥).

قال: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**»[١]، قال ابن كثير رحمه الله في معناه: أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك[٢]. وقال ملا علي القاري: أي: يصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها[٣].

❋ ❋ ❋

كيفية خروجه

قالت أم سلمة رضي الله عنها: قال النبيّ ﷺ: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام. ويُبعث إليه جيش من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة. فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب**

(١) أخرجه ابن ماجه في خروج المهدي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٠٠).
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٥٥/١).
(٣) مرقاة المفاتيح (٣٥١/٩).

أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشئ رجل من قريش، أخواله من كلب، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنَّة نبيهم، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[(١)].

فهذا الحديث يشتمل على فوائد مهمة، إلا أنه لا يمكن الجزم بها، لأن الحديث مختلف في صحته.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يخرج رجل**» يراد به: المهدي، والله أعلم، وذلك لورود بعض المناسبات التي تتفق مع قصة المهدي، منها: أن مدة حكمه في الأرض سبع سنين. وقال الطيّبي رحمه الله: وهو المهدي، بدليل إيراد هذا الحديث أبو داود في باب المهدي[(٢)].

وأما قوله ﷺ: «**يكون اختلاف عند موت خليفة**»،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٣١٦)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٨٨١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٢٣٩٩)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. وحسّنه ابن القيِّم في المنار المنيف، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٤٢٨٦)، كما ضعفه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) كلام الطيّبي ذكره القاري في المرقاة (٩/٢٥٤).

فقد فهم منه بعض الناس: أن قيام الخلافة الإسلامية يسبق خروج المهدي. وهذا غير لازم، لأن لفظة: «**خليفة**» لا يلزم منها وجود خلافة إسلامية، فقد تطلق هذه اللفظة ويراد بها ملك من ملوك الإسلام، وإن لم يكن ثمة خلافة إسلامية. ودليله ما ورد في بعض الأحاديث: «**سيكون خلفاء فيكثرون**»(١). وما ورد عن سفينة رضي الله عنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً**»(٢)، فقد أطلق في الحديث الأول لفظ الخلفاء، وأراد به الخلفاء والملوك، كما ورد تفصيله في حديث سفينة.

وأمر آخر وهو: أن خروج المهدي إنما يكون بعد استشراء الظلم في الأرض، وهذا لا يتناسب مع وجود الخلافة الإسلامية التي لا تنفك عن العدل.

كما دلّ حديث أم سلمة، إن صح، على أن المهدي يكون من أهل المدينة، وأنه يحدث اختلاف بعد موت أحد الملوك، فيفرّ المهدي من المدينة إلى مكة. ولم يبين الحديث سبب فراره، والظاهر أن

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة برقم (١٨٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٢٠)، والترمذي في الفتن برقم (٢٢٢٦) وحسنه، وأبو داود في السنَّة برقم (٤٦٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥٩).

الاختلاف الذي يحدث لا تسلم منه المدينة، ممّا يفسّر فرار المهدي منها إلى مكة، لأنها أكثر أمناً. فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، أي: يخرجونه إلى الحرم المكي، والله أعلم، من أجل إعلان مبايعته أمام الناس، وهو مستثقل للأمر. فيبايعونه بين الركن والمقام، أي: بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم. وحينها يبدأ ذكره بالانتشار.

إلا أن الناس لا تجمع على بيعته، إما خوفاً من حكامها، أو شكاً في كونه المهدي الذي أخبر عنه النبيّ ﷺ.

وهنا يتوجه جيش من الشام لقتاله، وعندما يصلون إلى البيداء بين مكة والمدينة، يُخسف بهم.

وهذا الجيش يتكون من المسلمين. ودليل ذلك، أنه ورد وصفهم في بعض الروايات بأنهم من أمة النبيّ ﷺ.

وهو ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: عَبثَ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَنَعْتَ

(١) عبث ـ بِكَسْرِ الْبَاء ـ قِيلَ: مَعْنَاهُ: اِضْطرَب بِجِسْمِهِ، وَقِيلَ: حَرَّكَ أَطْرَافه كَمَنْ يَأْخُذ شَيْئاً أَوْ يَدْفَعهُ.

شَيْئاً فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: «**الْعَجَبُ إِنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكاً وَاحِداً وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمْ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[(١)].

وعندما ينتشر خبر الخسف بالجيش، يتيقن الناس في أقطار الأرض، أن الذي خرج هو المهدي، لما رأوا من تأييد الله له، ولما عرفوا من علامته في حديث رسول الله ﷺ.

وحينها يتوجه الشباب المسلم إلى نصرته ومبايعته من كل أنحاء الأرض، وفيهم أبدال الشام[(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٨٨٤).

(٢) واحدهم يسمى: بدل، وسموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بدل بآخر، كما في النهاية. وقال الجوهري: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر. قال الحافظ السيوطي رحمه الله في تعليقه على أبي داود: لم يرد في الكتب الستة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند أبي داود، وقد أخرجه الحاكم وصححه. أفاده القاري في مرقاته (٩/٣٥٣، ٣٥٥).

وهم الأولياء والعباد، وفيهم أيضاً عصائب أهل العراق، أي: خيارهم، من قولهم: عصبة القوم، يعني: خيارهم[١]، فتقوى بهم شوكته وتجتمع عليه الأمة.

وحين يعجز جيش الشام عن القضاء على المهدي، ينبري له رجل من قريش، أخواله من كلب، فينازع المهدي أمره، ويستعين عليه بأخواله من بني كلب، ويبعثون إلى أتباع المهدي جيشاً، فيهزمهم المهدي وأتباعُه، ويغنمون منهم أموالاً طائلة. ثم يلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، قال الخطابي في «معالم السنن»: الجران: مقدم العنق، وأصله في البعير إذا مدّ عنقه على وجه الأرض، فيقال: ألقى البعير جرانه، وإنما يفعل ذلك إذا طال مقامه في مناخه، فضرب الجران مثلًا للإسلام إذا استقر قراره فلم يكن فتنة ولا هيج، وجرت أحكامه على العدل والاستقامة[٢].

❋ ❋ ❋

(١) المرقاة (٩/٣٥٤).

(٢) معالم السنن (٤/٣٤٤).

الفتوحات في زمن المهدي

وفي زمن المهدي يعود للإسلام عزه، وفي زمنه ينتشر الإسلام في الأرض. والظاهر أن فتح إسطنبول إنما يكون في زمنه. ودليل هذا الظاهر: أن النبيّ ﷺ بيّن أن فتح القسطنطينية، وهي إسطنبول، يعقبه على الفور خروج الدجال، كما سيأتي، والدجال والمهدي يتعاصران، لأن المسيح ابن مريم إذا نزل لقتال الدجال، ينزل والمهدي موجود فيصلي خلفه. كما ورد ذلك في حديث رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**»(١). وَقَالَ أَبُو الْحَسَن الْخَسْعِيّ الْآبِدِيّ فِي مَنَاقِب الشَّافِعِيّ: تَوَاتَرَت الْأَخْبَار بِأَنَّ الْمَهْدِيّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة، وَأَنَّ عِيسَى يُصَلِّي خَلْفه(٢).

إذاً المسيح ابن مريم والمهدي والدجال يكونون

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وجوّد إسناده ابن القيِّم في المنار المنيف، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٣٦).

(٢) فتح الباري: أحاديث الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٦/٤٩٣ ـ ٤٩٤).

في عصر واحد. والصواب: أن المهدي يسبق ابن مريم والدجال في مجيئه، والله أعلم. أما سبقه لابن مريم فواضح، لأن المسيح إذا نزل صلى خلفه.

وأما سبقه للدجال، فدليله أن الدجال يمكث في الأرض سنة وشهرين ونيفاً، ثم ينزل ابن مريم فيقتله، فإما أن يأتي المهدي بعد خروج الدجال وقبل نزول المسيح، وهذا بعيد، لأن المهدي لن يملأ الأرض سبع سنين بالعدل، وقد ملئت خوفاً وفتنةً من الدجال. وإما أن يأتي المهدي قبل خروج الدجال، وهو الراجح عندي.

وبقي سؤال وهو: كيف يمكن التوفيق بين امتلاء الأرض بالعدل في زمن المهدي، وبين معاصرته للدجال كما أسلفنا؟

والجواب والله أعلم: أن المهدي يأتي فيملأ الأرض بالعدل والقسط سبع سنين، ثم يخرج الدجال بعد هذه السنين المباركة، فينشر رعبه في الأرض، ولا يقدر المهدي على قتاله، فيصبر هو والمؤمنون معه، حتى يأذن الله تعالى بنزول ابن مريم. فإذا نزل ابن مريم صلى أول نزوله خلف المهدي، ثم يتولى المسيح عليه السلام قيادة المسلمين من بعده. فيبدأ أولًا بقتال الدجال

ومن معه من اليهود، ثم تخرج، بعد القضاء على الدجال، يأجوج ومأجوج، فيتحصن المسيح والمؤمنون معه منهم في أحد الجبال.

ومما يدل على هذا الجمع والتوفيق بين الأحاديث: أن الدجال يخرج عقب انتصار المسلمين على الروم وفتحهم للقسطنطينية، وهذا يدل على ازدهار الإسلام وانتشاره، وهو المناسب لوصف زمن المهدي، إذ فيه امتلاء الأرض بالعدل والقسط. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

اجتماع الكلمة في زمن المهدي

وتجتمع الأمة في زمن المهدي بإذن الله، ويرتفع الخلاف والتفرق فيما بينها، ويفتح الله عليها الفتوحات العظيمة.

فقد روى أبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين: سيفاً منها، وسيفاً من عدوها**»[1]. أي:

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم: باب ارتفاع الفتنة في الملاحم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٣٠١).

عندما يتجرد العدو لقتال المسلمين واستئصال شأفتهم، يرفع الله الفتن من بين أفراد الأمة، حتى يتفرغوا لقتال عدوهم، ولا ينشغلوا بالاقتتال الداخلي، وبالتالي لا يجتمع عليهم سيفان: سيف العدو الخارجي، وسيف الفتن الداخلية. وأرجى زمن يمكن أن يتحقق فيه هذا الحديث، هو زمن المهدي، لأن الملحمة الكبرى بين أهل الإسلام وأهل الكفر إنما تقع في زمنه، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

الترتيب بين بعض الأحداث المهمة

ورد حديث شريف في بيان بعض الأحداث العظيمة التي تقع قبل قيام الساعة، والترتيب بينها. وهو حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال النبيّ ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»(١).

ويمكن ترتيب الأحداث من خلال هذا الحديث

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٩٤).

وغيره من الأحاديث على الشكل الآتي:

أولاً: يعمر بيت المقدس، ولعل ذلك يقع عند خروج المهدي. فبعد أن يمكّن الله له في أرض الجزيرة العربية، بخسف جيش الشام، والانتصار على بعث كلب، والتفاف المسلمين عليه، يتوجه نحو بيت المقدس، وهي مدينة القدس وما جاورها من قرى فلسطين فيقيم فيها حكم الخلافة، وقد ورد في حديث أبي حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي ثم قال: «**يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**»[1]، ففيه دلالة على أن الخلافة الإسلامية سوف تنزل في بلاد الشام في آخر الزمان، فلعل المراد بعمران بيت المقدس هو صيرورته حاضرة الخلافة الإسلامية وقتها. والله تعالى أعلم.

ثانياً: وعندها تخرب يثرب، أي: تضعف المدينة المنورة. ولعله يكون بسبب استنفار المهدي للمسلمين، وخروجه بهم إلى بيت المقدس، فتضعف حينها المدينة

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٥٣٥).

بشرياً واقتصادياً. إلا أن هذا الضعف لا يدوم، لأنه سيمر معنا، بإذن الله، كيف سيخرج بعد ذلك من المدينة جيش للمشاركة في الملحمة.

ثالثاً: وبعد عمران بيت المقدس وما أعقبه من خراب يثرب تقع الملحمة الكبرى. وهي معركة طاحنة بين المسلمين المجتمعين تحت إمرة المهدي، والله أعلم[1]، وبين الروم، ويقصد بهم الأوروبيون، الذين يمثلون اليوم الامتداد الحضاري للروم السابقين.

ويسبق الملحمة الكبرى صلح وهدنة بين الفريقين، وهذا يشير إلى وجود صراع بين المسلمين وبين الروم يسبق الملحمة الكبرى، فتعقبه هدنة وصلح بين الفريقين، ثم تقع الملحمة الكبرى بعد خرق الهدنة، والله أعلم. ودليل الصلح الذي يسبق الملحمة ما رواه ذو مِخبَر ـ

(١) روى الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق حديثاً عن أبي هريرة يقول فيه النبي ﷺ: «**تجيش الروم على والٍ من عترتي اسمه يواطئ اسمي، فيقبلون بمكان يقال له العماق فيقتتلون، فيقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك، ثم يقتتلون يوماً آخر فيقتل من المسلمين نحو ذلك، ثم يقتتلون اليوم الثالث فتكون على الروم، فلا يزالون حتى يفتتحوا القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون فيها بالأترسة إذ أتاهم صارخ أن الدجال قد خلفكم في ذراريكم**».

رجل من أصحاب النبيّ ﷺ - وهو ابن أخي النجاشي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزوا أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتنصرون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[1].

فهذا الحديث ذكر أنه بعد الصلح الذي يقع بين الروم والمسلمين، تشترك كتيبة من المسلمين مع الروم في قتال عدو مشترك بينهما، فينتصرون على العدو المشترك ويغنمون. والظاهر أن هذا العدو ليس في بلاد الإسلام ولا في بلاد الروم، لذلك وصفه الحديث بقوله: «**فتغزون**

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٧٠٨)، واللفظ له، وأبو داود في أول الملاحم بنحوه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٩٣).

أنتم وهم عدواً من ورائهم». وفي طريق العودة إلى الديار، يستفز أحد الروم المسلمين، فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب. فحينها يغضب أحد المسلمين من هذا الجحود، فيقتل النصراني. وعندها يغدر الروم بالكتيبة المسلمة، فيقتلون جميع أفرادها، ثم يعدُّون العدة للملحمة الكبرى بين الروم وعامة أهل الإسلام.

❋ ❋ ❋

الملحمة الكبرى

بيَّنت الأحاديث الشريفة أن الروم يأتون بجيش عرمرم عدته قرابة المليون، فيتجمعون عند موضع قرب حلب، في حين يكون تجمع المسلمين بالغوطة قرب دمشق.

وتبدأ المنازلة بين الفريقين، ويستبسل المسلمون في القتال، فتدور رحى القتال بين الفريقين ثلاثة أيام، ويسقط فيها كثير من القتلى دون أن تظهر الغلبة لأحد.

وفي اليوم الرابع يصل من المدينة جيش من المسلمين الأخيار لنصرة إخوانهم في الشام، بعد أن سقط منهم ما لا يحصى من الشهداء، ويتجهزون لمنازلة الروم.

فيعرض الروم على المدد القادم من المدينة عدم التدخل في المعركة، لأنهم يريدون الانتقام فقط من الجيش الذي سبى ذراريهم، فيأبون عليهم، ويقومون مع من بقي من الجيش الإسلامي بقتال الروم. ويشتد القتال ويستعرّ حتى يفر ثلث المسلمين، فيغضب الله عليهم غضباً شديداً، لأنهم فروا من الزحف، وأي زحف، فإما وجود المسلمين أو فناؤهم، إذ لم تبق في الأرض فئة يلوذ إليها المسلمون، حيث خرج كل المسلمين لقتال الروم كل الروم، فإما إسلام أو لا إسلام. ويستشهد ثلث المسلمين، أي: يستشهد ثلث من بقي من الجيش الإسلامي بمدده من أهل المدينة، غير الذين استشهدوا من قبل مجيء المدد، وهذا يدلك على كثرة القتلى بين المسلمين، ثم يفتح الله على الثلث الباقي فيقتلون في الروم مقتلة لم يسمع بها من قبل، ولا يسمع بها من بعد. وعقب هذه الملحمة الكبرى يتم فتح القسطنطينية بدون قتال، بل بالتهليل والتكبير، ويكون في جملة الفاتحين لها سبعون ألفاً من الروم المسلمين.

وبعد فتح القسطنطينية وأثناء انشغال المسلمين باقتسام غنائمها، يصيح فيهم الشيطان زاعماً أن الدجال قد خرج في ذراريهم. فيتركون ما بأيديهم، وتتوجه طليعة منهم لقتاله، فإذا وصلوا إلى الشام يكتشفون أنه لم

يخرج، حتى إذا رجع بقية الجيش إلى الشام يخرج الدجال حقيقة.

يدل على ما ذكرناه عدة أحاديث:

أولًا: ما رواه عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً**»(١).

ثانياً: وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام**»(٢).

ثالثاً: وعَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى(٣) قائلًا: يَا عَبْدَاللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتْ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ.

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية برقم (٣١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٢٩٨).

(٣) لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى - بِكَسْرِ الْهَاء وَالْجِيم الْمُشَدَّدَة -، أي: شَأْنه وَدَأْبه ذَلِكَ.

فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّيرَةَ عَلَيْهِمْ[1]، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتاً. فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ. فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ: إِنَّ

(١) فَيَجْعَل اللَّه الدَّيْرَة عَلَيْهِمْ - بِفَتْحِ الدَّال وَالْيَاء -، أَيْ: الْهَزِيمَة.

الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيهِمْ. فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ** أَوْ **مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»(١).

رابعاً: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ**(٢)، **فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتْ الرُّومُ: خَلوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللهِ، لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً. فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُم. فَيَخْرُجُون، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤوا الشَّأْمَ خَرَجَ. فَبَيْنَمَا**

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٨٩٩).

(٢) الْأَعْمَاق وَدَابِق: مَوْضِعَانِ بِقُرْبِ حَلَب.

هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(١).

خامساً: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاؤوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا**». قَالَ ثَوْرٌ: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ قَالَ: «**الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ. ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٢٠).

وفي قوله ﷺ: «**سبعون ألفاً من بني إسحاق**»، إشارة إلى أبناء الروم الذين يسلمون، لأن الروم هم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، والعيص هو أخو نبي الله يعقوب المعروف بإسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، فالروم هم أولاد عم بني إسرائيل(١).

ويظهر لي من خلال الحديثين الأخيرين: أن السبعين ألفاً من بني إسحاق، ينضمون إلى الجيش الذي يخرج من المدينة لنصرة أهل الشام، لأن الجيش الذي يشارك في الملحمة هو الذي يفتتح القسطنطينية. وذكر ﷺ أن القسطنطينية يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فالظاهر أنهم قد شاركوا في الملحمة قبل ذلك، لأنها استوعبت جميع المقاتلين من أهل الإسلام. ومن هنا يظهر لنا السرّ في قول الروم الكفار للجيش المدني المسلم: «**خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا**»، أي: لا تتدخلوا في الصراع بيننا وبين الجيش الإسلامي، فكأن الروم اعتقدوا أن الجيش المدني، لكونه يضم في كتائبه من كانوا في الأصل روماً، فسوف يتعاطفون مع الروم

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٩٢/١).

المشركين، وهذا ما لم يحصل ولله الحمد[١].

كما يتبين لنا من هذه الأحاديث: أن القسطنطينية، وهي إسطنبول، ترجع مرة أخرى إلى حظيرة الكفر، ويتخذها الروم معقلًا لهم في الملحمة، ثم تفتتح مرة ثانية على أيدي المسلمين، وهو غير الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني رحمه الله تعالى.

وبقي فائدة مهمة، وهي أن قوله ﷺ: «**عَلِّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ**»، فقد فهم منه بعض الناس: أن السلاح الحديث سوف يتعطل ويرجع الناس إلى السيوف. وهذا غير لازم، لأن الراوي قد يكون روى الحديث بالمعنى، فإذا ذكر عليه الصلاة والسلام أنهم: «**علقوا سلاحهم بالزيتون**»، رواه بما تبادر إلى ذهنه في زمنه، من أن السلاح هو السيوف. ثم وجدت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم ورد فيها لفظ السلاح بدل السيوف فقال: «. . . **وقد علقوا سلاحهم بالزيتون**. . .»[٢].

---

(١) ثم وجدتُ حديثاً رواه نعيم بن حماد في الفتن برقم (١٣٧٩) يؤكد هذا المعنى، وفيه: «. . . **فتقول الروم: لن ندعكم إلا أن تخرجوا إلينا من كان أصله منا**. . .».

(٢) مستدرك الحاكم (٤/٤٨٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

انتشار الخير في زمن المهدي

وفي زمن المهدي يكثر الخير في الأمة، بسبب انتشار العدل والطاعة، واستعلاء كلمة الله في الأرض. قال ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي؛ يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً**»، يعني: حججاً[١].

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ، فقال: «**إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً**»، زيد الشاك، قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: «**سنين**»، قال: «**فيجيء إليه رجل فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني**»، قال: «**فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»[٢].

وقال ﷺ: «**لتُملأن الأرض جَوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً يبعث الله رجلاً مني، اسمه اسمي**

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٥٥٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧١١).

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن وحسنه، كما حسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٨٢٠).

واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلما، فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها، ولا الأرض شيئاً من نباتها، يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً»[1].

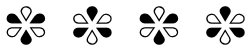

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٧٣).

علامات الساعة الكبرى

خروج الدجال

تبين لنا من خلال النظر في الأحاديث النبوية الشريفة: أن خروج الدجال يكون في آخر أيام المهدي عليه السلام، والله تعالى أعلم.

وكأن المهدي الذي ينشر العدل في الأرض سبع سنين، ثم يخرج الدجال بعدها، فيعجز عن مواجهته، لذلك ينزل المسيح ابن مريم عليه السلام لمتابعة مسيرة العدل، فيصلي خلف المهدي ثم يتولى حرب الدجال.

والآن نأتي بعون الله تعالى إلى بيان صفة الدجال وعظم فتنته.

❋ ❋ ❋

التعريف بالدجال

الدجال هو من علامات الساعة الكبرى، إذ يظهر على يديه ما هو خرق لما اعتاده الناس في حياتهم من نواميس وسنن.

قال ابن كثير رحمه الله: هو رجل من بني آدم، خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس في آخر الزمان، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

وهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداري، وفيه قصة الجسّاسة[2]، ثم يؤذن له في الخروج في آخر الزمان بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسمّاة بقسطنطينية.

فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة منها يقال لها: اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي عليهم الأسلحة والتيجان، وهي الطيالسة الخضراء. وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان. فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٢) وسيمر معنا بعد قليل بإذن الله.

ثم يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هدى الله من عباده الصالحين وحزب الله المتقين. يأخذ البلاد بلداً بلداً، وحصناً حصناً، وإقليماً إقليماً، وكورةً كورة، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه بخيله ورجله غير مكة والمدينة. ومدة مقامه في الأرض أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه، ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف شهر.

وقد خلق الله تعالى على يديه خوارق كثيرة، يضل بها من يشاء من خلقه، ويثبت معها المؤمنون فيزدادون بها إيماناً مع إيمانهم، وهدى إلى هداهم. ويكون نزول عيسى ابن مريم مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة، على المنارة الشرقية بدمشق. فيجتمع عليه المؤمنون ويلتف به عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم قاصداً نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فيدركهم عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال فيلحقه عند مدينة باب لد، فيقتله بحربته وهو داخل إليها، ويقول: إن لي فيك ضربة لن تفوتني، وإذا واجهه الدجال ينماع[1] كما يذوب الملح في الماء،

(١) ينماع، أي: يذوب ويضمحل.

فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لدّ، فتكون وفاته هناك لعنه الله، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه[١].

❋ ❋ ❋

صفة الدجال

الدجال رجل من البشر، وقد شبهه عليه الصلاة والسلام في صورته بعبد العزى بن قطن، وهو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، كما سيأتي معنا بإذن الله، وهذا يردّ زعم من ادّعى أن الدجال شيء معنوي، وأنه رمز للحضارة الغربية بفتنتها وزخرفها.

وقد بين النبيّ ﷺ صفاته بياناً شافياً، حتى لا يخفى أمره، ولا يقع الناس في فتنته.

فممّا بينه عليه الصلاة والسلام من صفاته أنه: شاب قطط أعور أفحج.

وهاكم بعض الأحاديث التي بينت صفاته:

١ ـ حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه،

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٧٣ ـ ١٧٤).

وهو حديث طويل، وفيه من وصف الدجال: قول النبيّ ﷺ: «**إنه شَاب قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ**» الحديث[١]، قال النووي رحمه الله: قطط هو: بفتح القاف وَالطَّاء، أَيْ: شَدِيد جُعُودَة الشَّعْر، مُبَاعِد لِلْجُعُودَةِ الْمَحْبُوبَة[٢].

٢ ـ روى البخاري ومسلم عَنِ ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: لَا وَاللهِ، مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِيسَى أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةً طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قَطَنٍ**»، قَالَ الزُّهْرِيّ: رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).
(٢) شرح مسلم للنووي (٦٥/١٨).
(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٤١) واللفظ له، ومسلم في الإيمان برقم (٢٧٥).

قال النووي رحمه الله: قَوْله ﷺ: «**أَعْوَر الْعَيْن الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَة طَافِيَة**»، رُوِيَ بِالْهَمْزِ (أي: «**طافئة**») وَبِغَيْرِ هَمْز (أي: «**طافية**»)، فَمَنْ هَمَزَ مَعْنَاهُ: ذَهَبَ ضَوْؤهَا، وَمَنْ لَمْ يَهْمِز مَعْنَاهُ: نَاتِئَة بَارِزَة. ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ هُنَا «**أَعْوَر الْعَيْن الْيُمْنَى**»، وَجَاءَ فِي رِوَايَة أُخْرَى: «**أَعْوَر الْعَيْن الْيُسْرَى**»، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا جَمِيعاً مُسْلِم فِي آخِر الْكِتَاب، وَكِلَاهُمَا صَحِيح. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّه: رَوَيْنَا هَذَا الْحَرْف عَنْ أَكْثَر شُيُوخنَا بِغَيْرِ هَمْز، وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ أَكْثَرهمْ، قَالَ: وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَخْفَش، وَمَعْنَاهُ: نَاتِئَة كَنُتُوءِ حَبَّة الْعِنَب مِنْ بَيْن صَوَاحِبهَا. قَالَ: وَضَبَطَهُ بَعْض شُيُوخنَا بِالْهَمْزِ، وَأَنْكَرَهُ بَعْضهمْ، وَلاَ وَجْه لِإِنْكَارِهِ. وَقَدْ وَصَفَ فِي الْحَدِيث بِأَنَّهُ مَمْسُوح الْعَيْن، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ جَحْرَاءَ وَلاَ نَاتِئَة بَلْ مَطْمُوسَة، وَهَذِهِ صِفَة حَبَّة الْعِنَب إِذَا سَالَ مَاؤُهَا، وَهَذَا يُصَحِّح رِوَايَة الْهَمْز.

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيث الْأُخرى: «**جَاحِظ الْعَيْن وَكَأَنَّهَا كَوْكَب**» وَفِي رِوَايَة: «**لَهَا حَدَقَة جَاحِظَة كَأَنَّهَا نُخَاعَة فِي حَائِط**»، فَتُصَحِّح رِوَايَة تَرْك الْهَمْزَة،

وَلَكِنْ يُجْمَع بَيْن الْأَحَادِيث وَتُصَحَّح الرِّوَايَات جَمِيعاً، بِأَنْ تكُون الْمَطْمُوسَة وَالْمَمْسُوحَة وَالَّتِي لَيْسَتْ بِجَحْرَاءَ وَلاَ نَاتِئَة هِيَ الْعَوْرَاء الطَّافِئَة بِالْهَمْزِ، وَهِيَ الْعَيْن الْيُمْنَى كَمَا جَاءَ هُنَا.

وَتَكُون الْجَاحِظَة وَالَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَب، وَكَأَنَّهَا نُخَاعَة، هِيَ الطَّافِيَة بِغَيْرِ هَمْز، وَهِيَ الْعَيْن الْيُسْرَى كَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى، وَهَذَا جَمْع بَيْن الْأَحَادِيث وَالرِّوَايَات فِي الطَّافِيَة بِالْهَمْزِ وَبِتَرْكِهِ، وَأَعْوَر الْعَيْن الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى، لِأَنَّ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا عَوْرَاء، فَإِنَّ الْأَعْوَر مِنْ كُلّ شَيْء الْمَعِيب لَا سِيَّمَا مَا يَخْتَصّ بِالْعَيْنِ، وَكِلَا عَيْنَيْ الدَّجَّال مَعِيبَة عَوْرَاء، إِحْدَاهُمَا بِذَهَابِهَا، وَالْأُخْرَى بِعَيْبِهَا، هَذَا آخِر كَلَام الْقَاضِي وَهُوَ فِي نِهَايَة مِنَ الْحُسْن، وَاللَّه أَعْلَم[1].

٣ ـ حديث عبادة بن الصامت: أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال: رجل قصير،**

(١) شرح مسلم (٢/٢٣٥).

أفحج[(١)]**، جعد، أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**»[(٢)].

❋ ❋ ❋

مكان خروجه

ورد في مكان خروج الدجال موضعان، أحدهما: أصبهان، والآخر: طريق بين الشام والعراق. والجمع بينهما، كما أشار إليه الحافظ ابن كثير: أن بدء ظهوره يكون من أصبهان، من قرية فيها تسمى: اليهودية. وأما بدء اشتهار أمره فيكون من طريق بين الشام والعراق. والدليل على هذين الموضعين: حديث النواس بن سمعان عن الدجال وهو حديث طويل، وفيه: «... **إنه خارج خلة بين الشام والعراق**...»[(٣)]. وحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال من**

---

(١) «**أَفْحَج**» ـ بِفَاءٍ فَحَاء فَجِيم ـ: هُوَ الَّذِي إِذَا مَشَى بَاعَدَ بَيْن رِجْلَيْهِ كَالْمُخْتَنِ.

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).

يهودية أصبهان، معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان»[١].

قال الحافظ ابن حجر: قَالَ أَبُو نُعَيْم فِي تَارِيخ أَصْبَهَان: كَانَتْ الْيَهُودِيَّة مِنْ جُمْلَة قُرَى أَصْبَهَان، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْيَهُودِيَّة لِأَنَّهَا كَانَتْ تَخْتَصّ بِسُكْنَى الْيَهُود. قَالَ: وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَصَّرَهَا أَيُّوب بْن زِيَاد أَمِير مِصْر فِي زَمَن الْمَهْدِيّ بْن الْمَنْصُور، فَسَكَنَهَا الْمُسْلِمُونَ وَبَقِيَتْ لِلْيَهُودِ مِنْهَا قِطْعَة مُنْفَرِدَة. وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعاً قَالَ: «**يَتْبَع الدَّجَّال سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ يَهُود أَصْبَهَان**»، فَلَعَلَّهَا كَانَتْ يَهُودِيَّة أَصْبَهَان، يُرِيد الْبَلَد الْمَذْكُور، لاَ أَنَّ الْمُرَاد جَمِيع أَهْل أَصْبَهَان يَهُود، وَأَنَّ الْقَدْر الَّذِي يَتْبَع الدَّجَّال مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً[٢].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٢٤)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٣٢٨).

(٢) فتح الباري (١٣/٣٢٨).

مدة مكثه في الأرض

يمكث الدجال في الأرض أربعين يوماً. ودليله حديث النواس بن سمعان، ففيه: (. . . قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْماً، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**. . .»)[1].

إذاً الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً، ولكن تختلف طول الأيام في عهده عن أيامنا العادية. فقوله ﷺ: «**يوم كسنة**»، أي: يطول أحد أيامه حتى يصل إلى مدة سنة. وهو طول حقيقي، وليس أمراً يتوهمه الناس، بسبب شدة معاناتهم من الدجال، بل هو طول حقيقي. لذلك لما سأله الصحابة رضي الله عنهم، قالوا: فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»، فلو كان يوماً عادياً في الطول،

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).

وإنما طالت ساعاته في أوهام الناس وليس على الحقيقة، لكفت فيه صلاة يوم، ولكن لما بيّن ﷺ عدم كفاية صلاة يوم، دلّ على أنه طول حقيقي. ومعنى: «**اقدروا له قدره**»، أي: إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في الأيام العادية فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم الممتد إلى سنة.

❋ ❋ ❋

الأماكن المحرّمة على الدجال

الدجال يطوف الأرض بسرعة كبيرة، وقد شبّه النبيّ ﷺ إسراعه في الأرض بالغيث إذ استدبرته الريح. فيدخل البلاد بلداً بلداً سوى مكة والمدينة، فإنهما ممتنعان عليه. وقد جاء التصريح بذلك في حديث فاطمة بنت قيس الذي أشار إليه ابن كثير، قالت: سَمِعْتُ نِدَاءَ

الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي: أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ. فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ. فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً، وَأَشَدُّهُ

وِثَاقاً، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ. قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْراً، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟ قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ، وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ

الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي. إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ» ـ يَعْنِي: الْمَدِينَةَ ـ، «أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[1].

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٤٢).

هذا بالنسبة للبلاد المحرمة عليه، وأما بالنسبة لسائر الأماكن، فقد ورد في حديث رواه الإمام أحمد: أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد. ولفظ الحديث: عن جنادة بن أبي أمية الأزدي، قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال ولا تحدثنا عن غيره، وإن كان مصدقاً. قال: خطبنا النبيّ ﷺ فقال: «**أنذرتكم الدجال ثلاثاً، فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة. وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار. فناره: جنة، وجنته: نار. ومعه جبل من خبز، ونهر من ماء. وإنه يمطر المطر، ولا ينبت الشجر، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ولا يسلط على غيرها. وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى. وما يشبّه عليكم؛ فإن ربكم ليس بأعور**»[1].

❋ ❋ ❋

(١) رواه أحمد (٤٣٥/٥)، وقال الحافظ في الفتح (١٠٥/١٣): رجاله ثقات. كما صحّح إسناده شعيب الأرناؤوط.

فتنة الدجال

فتنة الدجال فتنة عظيمة، بل هي أعظم فتنة منذ أن خلق الله تعالى آدم وإلى قيام الساعة. قال هشام بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله، ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال**»(١).

وقد ورد ذكر شيء من فتنته في حديث جنادة بن أبي أمية السابق، كما ورد ذكر أشياء من فتنته في أحاديث أخر.

منها: حديث النواس بن سمعان وفيه أنه: «. . . **يَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ(٢)، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا(٣)، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً(٤)، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ(٥). ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٦).

(٢) «**تَرُوح**»، أي: تَرْجِع آخِر النَّهَار، وَالسَّارِحَة هِيَ: الْمَاشِيَة الَّتِي تَسْرَح، أَيْ: تَذْهَب أَوَّل النَّهَار إِلَى الْمَرْعَى.

(٣) «**ذُرًا**» ـ بِضَمِّ الذال ـ: وَهِيَ الْأَعَالِي وَالْأَسْنِمَة، جَمْع ذُرْوَة ـ بِضَمِّ الذَّال وَكَسْرهَا ـ.

(٤) «**أَسْبَغَهُ ضروعاً**»، أَيْ: أَطْوَله لِكَثْرَةِ اللَّبَن.

(٥) «**أَمَدّه خَوَاصِر**»، أي: أطوله خواصر، لِكَثْرَةِ اِمْتِلَائِهَا مِنَ الشِّبَع.

قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ».

«وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[١]. ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ[٢]، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ...»[٣].

ومنها: حديث حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ. مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ؛ أَحَدُهُمَا: رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ: رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ. فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً، وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ...»[٤].

فهذه أشياء من خوارق الدجال، يجريها الله تعالى

---

(١) «**يَعَاسِيب النَّحْل**»، أي: جَمَاعَة النَّحْل.

(٢) «**يَقْطَعهُ جَزْلَتَيْن**»، أَيْ: قِطْعَتَيْن. وَمَعْنَى «**رَمْيَة الْغَرَض**»: أَنَّهُ يفرق بَيْن القطعتين ويجعل بينهما مسافة كمسافة الهدف إذا رمي بالنبل.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٤).

على يديه، اختباراً للعباد. وقد يظن بعض الناس أن فتنة الدجال لا يمكن أن يسلم منها أحد، بسبب عظمها وقوتها، وهذا غير صحيح، لأن فتنته وإن كانت عظيمة، فإن الله تعالى، من رحمته بعباده، كشفها للناس قبل وجودها، حتى لا يقع فيها أحد، وليكون الناس على أتم الحذر منها، فمن وقع بعد ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه، والله المستعان.

كما حاول بعض العلماء التشكيك في خوارق الدجال، واعتبرها مجرد خيالات يموّه بها على الناس ولا حقيقة لها. وهذا أيضاً غير صحيح، لأن الأحاديث الواردة في ذكر خوارق الدجال صحيحة لا مطعن فيها، والأصل أن نسلم بها، ونحملها على ظواهرها، دون ردها أو تأويلها.

قَالَ الْقَاضِي عياض رحمه الله: هَذِهِ الْأَحَادِيث الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِم وَغَيْره فِي قِصَّة الدَّجَّال حُجَّة لِمَذْهَبِ أَهْل الْحَقّ فِي صِحَّة وُجُوده، وَأَنَّهُ شَخْص بِعَيْنِهِ، اِبْتَلَى اللَّه بِهِ عِبَاده، وَأَقْدَرَهُ عَلَى أَشْيَاء مِنْ مَقْدُورَات اللَّه تَعَالَى مِنْ إِحْيَاء الْمَيِّت الَّذِي يَقْتُلهُ، وَمِنْ ظُهُور زَهْرَة الدُّنْيَا، وَالْخِصْب مَعَهُ، وَجَنَّته وَنَاره وَنَهَرَيْهِ، وَاتِّبَاع كُنُوز

الْأَرْض لَهُ، وَأَمْره السَّمَاء أَنْ تُمْطِر فَتُمْطِر، وَالْأَرْض أَنْ تُنْبِت فَتُنْبِت، فَيَقَع كُلّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللَّه تَعَالَى وَمَشِيئَته، ثُمَّ يُعْجِزهُ اللَّه تَعَالَى بَعْد ذَلِكَ فَلَا يَقْدِر عَلَى قَتْل ذَلِكَ الرَّجُل وَلَا غَيْره، وَيُبْطِل أَمْره، وَيَقْتُلهُ عِيسَى ﷺ، وَيُثَبِّت اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا. هَذَا مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَجَمِيع الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاء وَالنُّظَّار، خِلَافاً لِمَنْ أَنْكَرَهُ، وَأَبْطَلَ أَمْره مِنَ الْخَوَارِج وَالْجَهْمِيَّة وَبَعْض الْمُعْتَزِلَة. وَخِلَافاً لِلْبُخَارِيِّ الْمُعْتَزِلِيّ وَمُوَافِقِيهِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرهمْ فِي أَنَّهُ صَحِيح الْوُجُود، وَلَكِنَّ الَّذِي يُدَّعى مَخَارِف وَخَيَالَات لَا حَقَائِق لَهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَقًّا لَمْ يَوْثُق بِمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ. وَهَذَا غَلَط مِنْ جَمِيعهمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِ النُّبُوَّة فَيَكُون مَا مَعَهُ كَالتَّصْدِيقِ لَهُ، وَإِنَّمَا يَدَّعِي الْإِلٰهِيَّة، وَهُوَ فِي نَفْس دَعْوَاهُ مُكَذِّب لَهَا بِصُورَةِ حَاله، وَوُجُود دَلَائِل الْحُدُوث فِيهِ، وَنَقْص صُورَته، وَعَجْزه عَنْ إِزَالَة الْعَوَر الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ، وَعَنْ إِزَالَة الشَّاهِد بِكُفْرِهِ الْمَكْتُوب بَيْن عَيْنَيْهِ. وَلِهَذِهِ الدَّلَائِل وَغَيْرهَا لَا يَغْتَرّ بِهِ إِلَّا رِعَاع مِنَ النَّاس لِسَدِّ الْحَاجَة وَالْفَاقَة رَغْبَة فِي سَدّ الرَّمَق، أَوْ تَقِيَّة وَخَوْفاً مِنْ أَذَاهُ؛ لِأَنَّ فِتْنَته عَظِيمَة جِدًّا تُدْهِش الْعُقُول، وَتُحَيِّر الْأَلْبَاب، مَعَ سُرْعَة مُرُوره

فِي الْأَمْر، فَلَا يَمْكُث بِحَيْثُ يَتَأَمَّل الضُّعَفَاء حَاله وَدَلَائِل الْحُدُوث فِيهِ وَالنَّقْص، فَيُصَدِّقهُ مَنْ صَدَّقَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَة. وَلِهَذَا حَذَّرَتْ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ فِتْنَته، وَنَبَّهُوا عَلَى نَقْصه وَدَلَائِل إِبْطَاله. وَأَمَّا أَهْل التَّوْفِيق فَلَا يَغْتَرُّونَ بِهِ، وَلَا يُخْدَعُونَ لِمَا مَعَهُ، لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الدَّلَائِل الْمُكَذِّبَة لَهُ، مَعَ مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الْعِلْم بِحَالَه، وَلِهَذَا يَقُول لَهُ الَّذِي يَقْتُلهُ ثُمَّ يُحْيِيه: مَا ازْدَدْت فِيك إِلَّا بَصِيرة[1].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده، بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم: أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم سماناً، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره، تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه،

(١) كلام القاضي نقله النووي رحمة الله عليهما في شرحه لمسلم (١٨/ ٥٨ ـ ٥٩).

وهذا كله ليس بمخرفة، بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً. وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى، معنى الحديث: «**هو أهون على الله من ذلك**»[(١)]، أي: هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم، وإن كان معه ما معه من الخوارق، وبين عينيه مكتوب: كافر، كتابة ظاهرة، وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله: ك ف ر[(٢)]، وقد دل ذلك على أنه كتابة حسية لا معنوية كما يقوله بعض الناس[(٣)].

❋ ❋ ❋

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري برقم (٧١٢٢)، ومسلم في الآداب برقم (٢١٥٢)، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَحَدٌ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: «**أَيْ بُنَيَّ، وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ**». قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ. قَالَ: «**هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ مِنْ ذَلِكَ**».

(٢) يشير إلى حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الذي أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ**». ثُمَّ تَهَجَّاهَا: (ك ف ر) «**يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ**». وورد في حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم برقم (٩٣٤) لفظ: «. . .**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**».

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٦٤ ـ ١٦٥).

العصمة من فتنة الدجال

بيَّنا أن فتنة الدجال، وإن كانت عظيمة، فإن الله تعالى رحمةً بعباده جلاها للناس، فجعل نقصه ظاهراً في خلقته، وكفره مكتوباً بين عينيه، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب. ثم جاءت الأحاديث الصحيحة تبين ما يعصم من فتنته.

فمنها: قراءة فواتح سورة الكهف عليه، وتدبرها. ودليله حديث النواس بن سمعان حيث ورد فيه: «. . . **فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**. . .»[(١)]. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»، وفي رواية شعبة: «. . .**من آخر الكهف**. . .»[(٢)].

قال النووي رحمه الله: قيل: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال. وكذا في آخرها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في المسافرين برقم (٨٠٩).

(٣) شرح مسلم للنووي (٦/٩٣).

ومنها: التعوّذ بالله من شرّه في الصلاة، دلّ عليه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللهُمَّ: إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

ومنها: الفرار منه إذا خرج، وعدم مواجهته. ودليله حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع بالدجال فليناً عنه، فوالله، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات**»(٢).

❋ ❋ ❋

نزول المسيح ابن مريم عليه السلام

نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض مما تواترت فيه الأحاديث، فقد قال ابن كثير رحمه الله

(١) أخرجه مسلم في المساجد برقم (٥٨٨).

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود في الملاحم، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٠١).

تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[١]: «قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً».

ونزوله هذا هو علامة من علامات الساعة، أي: أمارة تدل على قرب قيام الساعة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾. قال الفخر الرازي في تفسيره: ﴿وَإِنَّهُ﴾، أي: عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: شرط من أشراطها تعلم به، فسمى الشرط الدال على الشيء علماً، لحصول العلم به. وقرأ ابن عباس: ﴿**لَعَلَمٌ**﴾ ـ بفتح العين واللام ـ وهو العلامة. وهو من العلامات الكبرى بلا شك، لأن نزوله وما يعقبه من أعمال فيه خرق لما اعتاده الناس.

ومن الأحاديث الواردة في نزوله، ما رواه البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ**

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦١.

أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[١]، وهو حديث عظيم، ومن المناسب أن نشرحه ونبين أحكامه بعون الله تعالى.

❋ ❋ ❋

ألفاظ الحديث

«**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»: فِيهِ الْحَلِف فِي الْخَبَر مُبَالَغَة فِي تَأْكِيده.

«**لَيُوشِكَن**»: اللام فيه مفتوحة للتأكيد، ويوشكن من أفعال المقاربة، وهو مضارع دخلت عليه نون التأكيد، وماضيه: أوشك، أي: قرب، فالوشيك هو: القريب، والمعنى: لَيَقْرَبَنّ نزول ابن مريم فيكم.

«**أَنْ يَنْزِل فِيكُمْ**»: أَيْ: فِي هَذِهِ الْأُمَّة، فَإِنَّهُ خِطَاب لِبَعْضِ الْأُمَّة مِمَّنْ لاَ يُدْرِك نُزُوله.

«**حَكَماً عدلاً**» أَيْ: يَنْزِل حَاكِماً بِهَذِهِ الشَّرِيعَة، لاَ يَنْزِل بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّة، وَشَرِيعَة نَاسِخَة، فَإِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَة

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٤٨)، ومسلم في الإيمان برقم (٢٤٢).

بَاقِيَة لاَ تُنْسَخ، بَلْ هُوَ حَاكِم مِنْ حُكَّام هَذِهِ الْأُمَّة.

وَفِي رِوَايَة مُسْلِم: «**حَكَماً مُقْسِطاً**» وَالْمُقْسِط: الْعَادِل، يُقَال: أَقْسَطَ يُقْسِط إِقْسَاطاً فَهُوَ مُقْسِط إِذَا عَدَلَ، وَالْقِسْط ـ بِكَسْرِ الْقَاف ـ: الْعَدْل. بخلاف الْقَاسِط الذي هو الْجَائِر، يقال: قَسَطَ يَقْسِط قَسْطاً ـ بِفَتْحِ الْقَاف ـ فَهُوَ قَاسِط إِذَا جَارَ.

❋ ❋ ❋

كيفية نزول المسيح عليه السلام

ورد في كيفية نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض عدة أحاديث:

منها: حديث النواس بن سمعان، وفيه: «. . .**فبينما هو كذلك** ـ أي: الدجال ـ **إذ بعث الله عيسى ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتَيْن، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ. . .**» الحديث[1].

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).

فقوله ﷺ: «**عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**»، قال ابن كثير رحمه الله معلقاً: هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه: على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية: «**فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق**»، فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي. وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه «**ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له: يا إمام المسلمين، يا روح الله، تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك**»، وفي رواية: «**بعضكم على بعض أمراء، يكرّم الله هذه الأمة**». وقد جدّد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيّض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى ابن مريم عليها[1].

وقوله ﷺ: «**بين مهرودتَيْن**»، مَعْنَاهُ: لاَبِس

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/١٩٢).

مَهْرُودَتَيْنِ، أَيْ: ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بِوَرْسٍ ثُمَّ بِزَعْفَرَانٍ.

وقَوْله ﷺ: «**تَحَدَّر مِنْهُ جُمَان كَاللُّؤْلُؤِ**»، الْجُمَان ـ بِضَمِّ الْجِيم وَتَخْفِيف الْمِيم ـ: هِيَ حَبَّات مِنَ الْفِضَّة تُصْنَع عَلَى هَيْئَة اللُّؤْلُؤ الْكِبَار، وَالْمُرَاد: يَتَحَدَّر مِنْهُ الْمَاء عَلَى هَيْئَة اللُّؤْلُؤ فِي صَفَائِهِ، فَسُمِّيَ الْمَاء: جُمَاناً، لِشَبَهِهِ بِهِ فِي الصَّفَاء.

❋ ❋ ❋

أعمال المسيح عليه السلام بعد نزوله، والأحداث التي تجري في أيامه

وردت الأحاديث تبين نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض، وتبين أيضاً الأعمال التي ينجزها في الأرض:

فمنها:

١ ـ صلاته خلف إمام المسلمين:

ودليله ما روى جَابِرَ بْن عَبْدِاللّهِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**. قَالَ: **فَيَنْزِلُ**

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»(١).

وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف إمام المسلمين، إشارة واضحة إلى التزام المسيح بشرع محمد صلى الله عليهما وسلم. وقد جاء التصريح بذلك في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: «**ثم يجيء عيسى ابن مريم عليهما السلام من قبل المغرب، مصدقاً بمحمد ﷺ وعلى ملته**» الحديث(٢).

وَقَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ رحمه الله: لَوْ تَقَدَّمَ عِيسَى إِمَاماً لَوَقَعَ فِي النَّفْس إِشْكَال، وَلَقِيلَ: أَتُرَاهُ تَقَدَّمَ نَائِباً أَوْ مُبْتَدِئاً شَرْعاً، فَصَلَّى مَأْمُوماً لِئَلَّا يَتَدَنَّس بِغُبَارِ الشُّبْهَة وَجْه قَوْله: «**لاَ نَبِيّ بَعْدِي**»(٣).

وأما الرجل الذي يصلي خلفه المسيح عليه السلام فهو المهدي كما بينا آنفاً، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (٢٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٣/٥)، وجزم الحافظ في الفتح (٦١٠/٦) بأن إسناده حسن.

(٣) الفتح (٤٩٤/٦).

٢ ـ قتله الدجال:

بعد نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض، أول شيء يفعله هو أن يصلي الفجر جماعة خلف إمام المسلمين. ثم ينطلق مع المؤمنين إلى فلسطين، لملاحقة الدجال وأتباعه الذين فروا منه إليها.

وهناك تقع ملحمة عظيمة ينتصر فيها المسلمون، ويُقتل فيها الدجال وأعوانه من اليهود وغيرهم شر مقتلة. وتظهر معجزات عظيمة من نطق الحجر والشجر.

فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في خفقةٍ من الدين وإدبارٍ من العلم. فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض: اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه. وله حمار يركبه، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً. فيقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور. مكتوب بين عينيه: كافر «ك ف ر» مهجاة، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها. ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه. ومعه نهران، أنا أعلم بهما منه، نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار. فمن أدخل الذي يسميه: الجنة، فهو النار، ومن أدخل**

الذي يسميه: النار، فهو الجنة». قال: **«ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس. ومعه فتنةً عظيمةً: يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس. ويقول: أيها الناس، هل يفعل مثل هذا إلا الرب عزَّ وجلَّ؟»** قال: **«فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم، فيشتد حصارهم، ويجهدهم جهداً شديداً. ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادىٰ من السحر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني. فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم ﷺ، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه».** قال: **«فحين يرى الكذاب، ينماث[1] كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله»**[2].

وهذه المعركة بين المسيح والمؤمنين معه من جهة، وبين الدجال ومن معه، هي آخر معركة بين أهل

---

(١) **«ينماث»**، أي: يذوب الدجال.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٦٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم.

الحق وأهل الباطل، وبها ينتهي الجهاد في الأرض.

ودليله ما روى عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**»(١).

وبعد فراغ المسيح عليه السلام من قتل الدجال وأتباعه من اليهود والمنافقين، يتوجه إلى النصارى الذين ادّعوا فيه وفي أمّه الألوهية، فيقيم الحجة عليهم.

فيقوم بكسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الجزية.

٣ ـ كسر الصليب:

يقوم المسيح عليه السلام بكسر الصليب أمام النصارى، ليكون أبلغ في الدلالة على بطلان عقيدتهم. فالنصارى عبدوا المسيح وعبدوا أمه مريم، كما عبدوا الروح القدس، وعظموا الصليب واتخذوه رمزاً لدينهم واعتقادهم، لزعمهم أن المسيح عليه السلام، قد صلب عليه. فإذا قام المسيح عليه السلام بكسره، تبيَّن لهم بطلان عقائدهم ومزاعمهم، إلى جانب ما ظهر لهم من

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد برقم (٢٤٨٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢١٧٠).

التزام المسيح عليه السلام نفسه بالشريعة المحمّدية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، مما يقطع لهم أنهم ضلوا مرتين، مرة بافترائهم الكذب على المسيح وأمه عليهما السلام، ومرة أخرى بكفرهم بمحمد ﷺ وشريعته.

٤ ـ قتل الخنزير:

كما يقوم عيسى عليه السلام بقتل الخنزير أمام الناس. وفي هذا دلالة على تحريم الخنزير الذي استحله النصارى المنتسبون إليه، وإشارة إلى بطلان شريعتهم التي كانوا يتعبّدون بها. إذ أن النصارى كانوا مأمورين بالتعبد بشريعة موسى عليه السلام، وهي التوراة، ولم يكن لهم شريعة خاصة بهم، بل جاء عيسى عليه السلام مؤكداً للتوراة في الأحكام، باستثناء بعض الأشياء التي كانت محرّمة على اليهود بسبب بغيهم، فخفف الله عنهم ببعثة المسيح عليه السلام، وأحل لهم بعض ما كان حرّم عليهم. قال تعالى إخباراً عن قول المسيح عليه السلام لقومه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

إلا أن النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام، وبسبب الفرقة والعداوة الشديدة التي دبّت بينهم وبين اليهود، رفضوا الالتزام بأحكام التوراة التشريعية. ولما لم يجدوا في الإنجيل تشريعاً كاملاً للأحكام العملية، من صلاة وزكاة وحج وغيرها، رجعوا في كل ذلك إلى مجامعهم الكنسية، وإلى الاجتهادات التي تولاها البابوات والقسيسون، وكان تحليل الخنزير واحداً من اجتهاداتهم تلك التي خالفوا فيها أحكام التوراة. قال تعالى فيهم وفي اليهود: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾[1].

وروى الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبيّ ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**». وسمعته يقرأ في سورة براءة: «﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾». قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا**

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

عليهم شيئاً حرموه»[١].

٥ ـ وضع الجزية:

وأما وضع الجزية، فقد اختلف أهل العلم في المراد به، وذكروا فيه عدة تأويلات، أرجحها: أن الدين يصير واحداً، أي: أن النصارى يسلمون. فبعد أن يقيم المسيح عليه السلام الحجة على النصارى، ويتبرأ من عقيدتهم وشريعتهم، حينها يعرفون الحق ويؤمنون به، ويدينون بدين الإسلام، فلا يبقى أحد منهم يؤدي الجزية، بل يضع المسيح عليه السلام عنهم الجزية، أي: يرفعها عنهم بسبب إسلامهم.

وقيل: المراد بوضع الجزية: أنه لا يقبل من الناس إلا الإسلام أو القتال، ولا يرضى بأخذ الجزية منهم.

وسواء كان المراد هذا، أو ذاك، فإن النصارى يسلمون على أي حال، وترفع عنهم الجزية. ودليل إسلامهم قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾،

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٤٧١).

فالراجح في تفسير هذه الآية أنه: لا يبقى أحد من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، إذا نزل عيسى إلا آمن به، وأيقن أنه عبد الله ورسوله[١]. وبهذا التفسير جزم ابن عباس بإسناد صحيح عنه، كما قال الحافظ ابن حجر[٢]. وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري، ونقله عن أكثر أهل العلم، كما روى ابن جرير عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى، والله، إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون[٣].

ويدل عليه أيضاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكماً قسطاً، وإماماً عدلاً، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتكون الدعوة واحدة**»[٤]. وروى أبو هريرة أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة**

(١) وهذا لا يكون إلا بعد مقتل الدجال وأتباعه من اليهود، فيؤمن به من بقي منهم.
(٢) الفتح (٦/٤٩٢).
(٣) جامع البيان (٦/١٨).
(٤) أخرجه أحمد (٢/٣٩٤)، وحسن إسناده الألباني في قصة المسيح الدجال (١/١٠٠).

لعَلاّت[١]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أَوْلى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه. رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصّرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجال. وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم. فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون»[٢].

٦ ـ خروج يأجوج ومأجوج:

وقبل الكلام عن فيض المال، يحدث أمر عظيم،

---

(١) «**الْأَنْبِيَاء إِخْوَة لِعَلَّاتٍ**»: الْعَلَّات ـ بِفَتْح الْعين ـ: الضَّرَائِر، وَأَصْله: أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَة ثُمَّ تَزَوَّجَ أُخْرَى كَأَنَّهُ عَلَّ مِنْهَا، وَالْعَلَل الشرْب بَعْد الشرْب، وَأَوْلَاد الْعَلَّات: الْإِخْوَة مِن الْأَب وَأُمَّهَاتهمْ شَتَّى، أفاده الحافظ في الفتح (٤٨٩/٦).

(٢) أخرجه أحمد بلفظه (٤٠٦/٢)، وأبو داود في الملاحم مختصراً برقم (٤٣٢٤)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح: أحاديث الأنبياء: باب نزول عيسى (٤٩٣/٦)، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٨٢).

فالأوْلى أن نتكلم عنه، ثم نرجع إلى فيض المال وغيره من الأحداث المتبقية.

وهذا الحدث العظيم هو: خروج يأجوج ومأجوج في زمن المسيح عليه السلام.

فمن هم يأجوج ومأجوج؟ وكيف يخرجون؟

❋ ❋ ❋

التعريف بيأجوج ومأجوج

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يأجوج ومأجوج من سلالة آدم، عليه السلام، كما ثبت في الصحيحين: «**إن الله تعالى يقول: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: ابعث بَعْثَ النار. فيقول: وما بَعْثُ النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال: إن فيكم أمّتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج**»[1].

وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم

(١) أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٥٣٠)، ومسلم برقم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بنحوه.

عن بعض الناس: أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منيّ خرج من آدم فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك[١]، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء. وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم. وفي مسند الإمام أحمد، عن سَمُرَة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**وَلَدُ نوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك**»[٢]. قال بعض العلماء: هؤلاء من نسل يافث أبي الترك، قال: إنما سموا هؤلاء: تركاً؛ لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة، انتهى كلام ابن كثير[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله في موضع آخر: يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك، وقد كانوا يعيشون في الأرض ويؤذون، فحصرهم ذو القرنين في مكانهم داخل

---

(١) شرح النووي (٣/٩٨).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين برقم (٢٥٧٨)، وأما أحمد فقد أخرجه (٥/٩) ولكن بلفظ: «...**ويافث أبو الروم**».

(٣) تفسير سورة الكهف، الآية: ٩٤.

السد، حتى يأذن الله بخروجهم على الناس فيكون من أمرهم ما ذكرنا في الأحاديث.

وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك، المخرومة عيونهم، الذلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطى بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه، وقد ورد في حديث: أن أحدهم لا يموت حتى يرى من نسله ألف إنسان، فالله أعلم بصحته[1].

إذاً يأجوج ومأجوج هما: طائفتان من البشر، وعلى هيئتهم، إلا أنهم مفسدون في الأرض. وقد كانوا موجودين قديماً في عهد الرجل الصالح ذي القرنين، فبنى عليهم سداً، ليكف به شرورهم عن الناس، وفسادهم في الأرض. ولا يزالون محصورين من وراء السد حتى يأذن الله تعالى بدكّه، وحينها يخرجون على الناس ويعيثون في الأرض فساداً، وسيقع ذلك في زمن المسيح عليه السلام.

---

(١) النهاية في الفتن (١/٢٠٠ ـ ٢٠١).

واعلم أن ذا القرنين، باني السد، هو غير الإسكندر المقدوني، باني الإسكندرية. وذكر ابن كثير رحمه الله: أن الأول المذكور في القرآن كان عبداً مؤمناً، وكان في زمن الخليل عليه السلام، كما ذكره الأزرقي وغيره، وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق، لمّا بناه إبراهيم عليه السلام، وكان وزيره الخضر.

وأما الثاني فكان مشركاً، وهو إسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني، باني الإسكندرية، وكان قبل المسيح عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة، وكان أرسطا طاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي تؤرخ بأيامه ملة الروم. وهو الذي أذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

قال ابن كثير رحمه الله: وإنما نبهنا عليه، لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطا طاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير. فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً، وملكاً عادلاً، وكان وزيره الخضر. وأما الثاني، فكان مشركاً، وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة[1].

(١) البداية والنهاية (٢/٩٧).

وسمي الأول: ذا القرنين، يقال: لأنه بلغ المشارق والمغارب، أي: من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ الْإِسْكَنْدَر الْمُتَأَخِّر لُقِّبَ بِذِي الْقَرْنَيْنِ، تَشْبِيهاً بِالْمُتَقَدِّمِ، لِسَعَةِ مُلْكه وَغَلَبَته عَلَى الْبِلَاد الْكَثِيرَة، أَوْ لِأَنَّهُ لَمَّا غَلَبَ عَلَى الْفُرْس وَقَتَلَ مَلِكهمْ، اِنْتَظَمَ لَهُ مُلْك الْمَمْلَكَتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ الرُّوم وَالْفُرْس فَلُقِّبَ: ذَا الْقَرْنَيْنِ لِذَلِك[٢].

❋ ❋ ❋

كيفية خروجهم على الناس

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾**[٣]**، فيعُمّون الأرض، وينحاز منهم المسلمون**

(١) تفسير ابن كثير من سورة الكهف: الآية ٨٤.
(٢) فتح الباري: الأنبياء: قصة يأجوج ومأجوج (٣٨٢/٦).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦، والـ ﴿حَدَبٍ﴾ هو: غليظ الأرض ومرتفعها. و﴿يَنسِلُونَ﴾، أي: يسرعون.

حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم. حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئاً، فيمر آخرهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء. ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازلنّ أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء. فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد[١]، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً.

فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً، فيقولون: من رجل يشري نفسه[٢] وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل، قد وطّن نفسه[٣] على أن يقتلوه، فيجدهم موتى.

فيناديهم: ألا أبشروا، فقد هلك عدوكم. فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عليها[٤] كأحسن ما شكرت من نبات

---

(١) «**نغف الجراد**»: دود تكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها: نغفة.

(٢) «**يشري نفسه**»، أي: يضحي بنفسه ويبيعها لله، لأن الاقتراب منهم موت محتم.

(٣) «**وطن نفسه**»، أي: هيأ نفسه.

(٤) «**تشكر عليها**»، أي: تسمن بها وتمتلئ شحماً.

أصابته قط»[١].

إذاً يفتح السد، ويخرج يأجوج ومأجوج على الناس. فماذا يفعل نبي الله عيسى عليه السلام والمؤمنون معه حينها؟

روى النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبيّ ﷺ جواب ذلك. وفيه: «... **إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لاَ يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**[٢]، **فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُر أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ. فَيَرْغَبُ نَبِي اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ**[٣]، **فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى**[٤]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٠٧).

(٢) أي: لا قدرة لأحد على قتالهم.

(٣) أي: يتوجهون إلى الله بالدعاء والتضرع.

(٤) «**فرسى**» ـ بِفَتْحِ الْفَاء مَقْصُور ـ أَيْ: قَتْلَى، وَاحِدهمْ فَرِيس.

كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِي اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[١]، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنْهُ[٢] بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[٣]. . .»[٤].

ومن هذا الحديث والذي قبله يتبيَّن لنا: أن يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس، ويغشون الأرض، ولا يتمكن أحدٌ من مواجهتهم. وذلك إما أن يكون لعدم فعالية أسلحة الناس فيهم وقتها، أو أنهم يغيرون على الناس بشكل مفاجئ، بحيث لا يتمكنون من استعمال أسلحتهم. فيفر الناس منهم شاردين إلى الحصون ورؤوس الجبال، حتى إن عيسى عليه السلام والمؤمنين معه، لا يؤمرون بقتالهم إبقاءً على أنفسهم، إذ لا طاقة

---

(١) «**البخت**»، نوع من الإبل.

(٢) «**لاَ يَكُنُّ مِنْه بيت**»، أَيْ: لاَ يَمْنَع مِنْ نُزُول الْمَاء بَيْت. والْمَدَر هُوَ: الطين الصلْب.

(٣) «**الزَّلَفَة**»: المرآة.

(٤) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣٧).

لأحد على قتالهم، بل يؤمرون بالاعتصام منهم في بعض الجبال.

وحين يتمكن يأجوج ومأجوج من الأرض، وتظهر غلبتهم على أهلها، يأخذهم الغرور، فيتطاولون على أهل السماء، فيرمون بحرابهم إلى السماء فترجع مخضوبة بالدم، فتنة لهم، واستدراجاً لهم، فيظنون أنهم قهروا أهل السماء أيضاً. وبعدها يسلط الله عليهم أصغر جنده فيبيدهم. فيظهر للمؤمنين هوان الخلق على الله وذلهم إذا تجبروا، كما تتجلى لهم قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء، وأثر الدعاء في استنزال الفرج.

٧ ـ فيض المال:

وفي زمن المسيح عليه السلام يفيض الخير، ويكثر المال في أيدي الناس، حتى إنه ليعرض عليهم مجاناً فلا يقبلونه. ويكون ذلك، والله أعلم، بعد هلاك الدجال، وهلاك يأجوج ومأجوج، وبعد هلاك الملل كلها سوى الإسلام. فإن طاعة الله تعالى هي من أكبر أسباب استدرار الرزق، واستنزال الخير. كما ورد التصريح في حديث النواس بن سمعان بأن كثرة الخير ووفرة الرزق إنما تكون بعد هلاك يأجوج ومأجوج،

ففيه: «. . . ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ. ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ[١] مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[٢]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[٣] حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ[٤] مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[٥] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ[٦]

---

(١) «الْعِصَابَة»: الْجَمَاعَة.

(٢) قِحْف الرمانة ـ بِكَسْرِ الْقَاف ـ: هُوَ مُقَعَّر قِشْرهَا، شَبَّهَهَا بِقِحْفِ الرَّأْس، وَهُوَ الَّذِي فَوْق الدِّمَاغ.

(٣) «الرِّسْل» ـ بِكَسْرِ الرَّاء وَإِسْكَان السِّين ـ: هُوَ اللَّبَن.

(٤) «اللِّقْحَة» ـ بِكَسْرِ اللاَّم وَفَتْحهَا ـ لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَالْكَسْر أَشْهَر، وَهِيَ الْقَرِيبَة الْعَهْد بِالْوِلاَدَةِ، وَجَمْعهَا لِقَح ـ بِكَسْرِ اللاَّم وَفَتْح الْقَاف ـ كَبِرْكَةٍ وَبِرَك. وَاللَّقُوح ذَات اللَّبَن، وَجَمْعهَا لِقَاح.

(٥) «وَالْفِئَام» ـ بِكَسْرِ الْفَاء ـ: وَهِيَ الْجَمَاعَة الْكَثِيرَة.

(٦) «الفخذ» قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْفَخْذ الْجَمَاعَة مِنَ الْأَقَارِب، وَهُمْ دُون الْبَطْن، وَالْبَطْن دُون الْقَبِيلَة. قَالَ الْقَاضِي: قَالَ اِبْن فَارِس: الْفَخْذ هُنَا بِإِسْكَانِ الْخَاء لاَ غَيْر، فَلاَ يُقَال إِلاَّ بِإِسْكَانِهَا، بِخِلاَفِ الْفَخِذ الَّتِي هِيَ الْعُضْو، فَإِنَّهَا تُكْسَر وَتُسَكَّن.

مِنَ النَّاسِ. . .»[١].

٨ ـ انتشار الأمن:

ومع طاعة الله تعالى، تؤمر الأرض بإخراج بركتها. فإن الأرض إذا طهرت من المعاصي، ظهرت فيها آثار البركة التي محقتها الذنوب.

ومع العدل ينتشر الأمن بين الناس، ثم يتوسع حتى يشمل الوحوش والضواري.

وقد مر معنا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قبل قليل، حيث بيَّن فيه النبيّ ﷺ ما يجري في زمن المسيح عليه السلام وفيه: «. . . **فَيُهْلِكُ اللَّهُ في زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِسْلاَم، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ. وَتَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَى الأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لاَ تَضُرُّهُمْ. فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**»[٢].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في**

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٣).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٦٤).

القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض»[(١)].

٩ ـ الإقبال على العبادة:

بيَّن النبيّ ﷺ ما يكون في زمن المسيح عليه السلام من أعمال وأحداث:

ومنها: إقبال الناس على العبادة في زمنه، وإيثارهم لها، لدرجة أن تكون السجدة الواحدة عندهم خيراً من الدنيا وما فيها.

ولكن ما السر في هذا التغير في حياة الناس؟

والجواب: أن الناس في العادة إنما يشغلهم عن العبادة: هو الحرص على الدنيا والانشغال بطلبها، وطلب المال الذي يؤمّن لهم دوام التلذذ وقضاء الشهوات. إلى جانب ما يزين لهم الشيطان من طول الأمل، وأن أحدهم سوف يعيش ويعيش، وأن العيش لا يحلو إلا بالمال، فيقوي هذا في النفس الحرص على

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٢٦)، وعزاه لأبي بكر الأنباري والديلمي وغيرهما.

المال، وعلى العمر، ويشغلها عن طاعة الله وعبادته. ولكن في زمن المسيح عليه السلام يتغير هذا الحال بالنسبة للناس. إذ يفيض المال ويكثر، حتى لا يقبله أحد، فعندها يقل تنافس الناس في الدنيا، ويزهدون فيها. إلى جانب ما يراه الناس من الآيات العظام، الخارجة عما اعتادوه وألفوه، مثل: خروج الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وإهلاك الله لهم، ممّا يقصر من طول آمالهم، ويزيد عندهم اليقين بالآخرة ودنو وقتها، فيقبلون على الطاعات.

ومن أهم الطاعات التي يقبلون عليها: الصلاة. والسر في ذلك أن التقرب إلى الله بالصدقة يقلّ، لاكتفاء الناس بما عندهم، واستغنائهم عما في أيدي الناس.

وكذا يتوقف الجهاد، لأن آخر معركة تخوضها هذه الأمة هي ضد الدجال قبحه الله وأتباعه، وبانتصار المؤمنين فيها، يرسخ الإسلام دعائمه، ويظهر الله دينه على الدين كله، ولا يبقى في الأرض بيت مدر ولا وبر إلا يدخله الله كلمة الإسلام، حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

فحينها يقبل الناس على الصلاة، ويستشعرون حلاوتها، حتى تصير السجدة الواحدة لأحدهم خيراً من الدنيا وما فيها.

١٠ ـ حج بيت الله الحرام:

ومن الأعمال التي يقوم بها المسيح عليه السلام قبل وفاته: حج بيت الله الحرام. فروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ[١] ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ[٢] حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا[٣]**»[٤].

وفي حج المسيح عليه السلام إلى البيت الحرام تأكيد آخر على التزامه بالشريعة المحمدية، لأن النصارى كانوا يحجون إلى بيت المقدس، ويعتبرونه قبلتهم في صلاتهم. فإذا نزل المسيح عليه السلام إلى الأرض، استقبل الكعبة المشرفة في صلاته، وجعل الحج إليها، ليؤكد نسخ الشريعة التي أنزلت على محمد ﷺ كل الشرائع التي سبقتها.

❋ ❋ ❋

(١) «**ليهلنّ**»، أي: يرفع صوته بالتلبية.

(٢) «**فَجّ الرَّوْحَاء**»: هُوَ طريق بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة، وقد سلكه رسول الله ﷺ في سيره إِلَى بَدْر، وَإِلَى مَكَّة عَام الْفَتْح، وَعَام حَجَّة الْوَدَاع.

(٣) «**لَيَثْنِيَنَّهُمَا**»، أي: يَقْرُن بَيْن الحج والعمرة.

(٤) أخرجه مسلم في الحج برقم (١٢٥٢).

مدة مكث المسيح عليه السلام في الأرض، ومكان وفاته

مرّ معنا آنفاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن المسيح عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلّي عليه المسلمون[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هكذا وقع في الحديث أنه يمكث في الأرض أربعين سنة، وثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر: أنه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل، اللَّهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم.

ثم قال: ذكر القرطبي في الملاحم في آخر كتابه «التذكرة في أحوال الآخرة»، «وتكون وفاته بالمدينة النبوية، فيصلى عليه هنالك، ويدفن بالحجرة النبوية أيضاً. وقد ذكر ذلك الحافظ أبو القاسم بن عساكر. ورواه أبو عيسى الترمذي في جامعه، عن عبدالله بن سلام[٢].

❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه في ص (٢٦٤).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

رفع القرآن الكريم

ذكرنا أن الإسلام ينتشر في زمن المسيح عليه السلام انتشاراً عظيماً، ويبلغ أقطاراً لم يبلغها من قبل، ثم يتوفى المسيح عليه السلام ويصلي عليه المسلمون. ويبدأ بعد ذلك، ومع قرب قيام الساعة، انحسار الإسلام في الأرض، وانحسار علومه، حتى يرفع القرآن الكريم من صدور المسلمين، ومن مصاحفهم، تمهيداً لقيام الساعة. وقد روى حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يدرس**[١] **الإسلام كما يدرس وشي الثوب**[٢]**، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة. ولَيُسرى**[٣] **على كتاب الله عزَّ وجلَّ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية. وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله) فنحن نقولها**». قال صلة بن زفر لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثاً، كل ذلك

(١) درس، أي: عفا وخفي أثره.

(٢) «**وشي الثوب**»: نقشه.

(٣) «**وَلَيُسْرَى**»: مِنَ السَّرَايَة، أَيْ: يرتفع القرآن في الليل.

يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: «يا صلة! تنجيهم من النار ثلاثاً»[١].

قال شيخنا الألباني رحمه الله: وفي هذا الحديث نبأٌ خطيرٌ، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعاً إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا، كما هو نص قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٢]، وكما شرح رسول الله ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها في المقال الأول من هذه المقالات (الأحاديث الصحيحة).

وما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيداً لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئاً من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده!

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن برقم (٤٠٤٩)، والحاكم (٤/٤٧٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وقوى سنده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/١٦)، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٧).

(٢) سورة الصف، الآية: ٩.

وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه، وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه، ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه[١].

وأما كيفية رفع القرآن من الأرض، فقد ورد في ذلك أثر لابن مسعود رضي الله عنه حيث قال فيه: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، وأن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن يرفع. قالوا: وكيف يرفع وقد أثبته الله في قلوبنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسرى عليه ليلاً، فيذهب ما في قلوبكم وما في مصاحفكم، ثم قرأ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٢]»[٣].

والظاهر من حديث حذيفة رضي الله عنه: أن دروس العلم يسبق رفع القرآن، وليس نتيجة لرفعه. فبناءً عليه يتراءى لنا: أن الناس بعد طيب العيش في زمن المسيح عليه السلام، وبعد شدة تعلقهم بالصلاة، يسري

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/١٧٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/٥٠٤)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، كما صحح سنده الحافظ في الفتح (١٣/١٦)، وعزاه للطبراني.

فيهم الفتور شيئاً فشيئاً، وتقوى رغبتهم في الدنيا وتعلقهم بها، وذلك بعد موت المسيح عليه السلام.

فيزهدون في العبادة، وفي علوم الدين، حتى يتلاشى العلم من حياتهم، ويموت علماؤهم دون أن يخلفهم في العلم أحد. ويبقى الناس بعدهم لا يدرون كيف الصلاة ولا الصيام ولا غيرها من شعائر الدين، والقرآن بين أظهرهم لم يزل، ولكن لا يتدبرونه، ولا يعملون بما فيه. فحينها، والله أعلم، يأذن الله تعالى برفعه، لأن إنزال القرآن الكريم نعمة جسيمة منّ الله تعالى بها على البشرية، فإذا قابلوها بالإهمال والنسيان عوقبوا برفعها عنهم.

ويؤيد هذا المعنى، ما رواه زياد بن لبيد رضي الله عنه حيث قال: ذكر النبيّ ﷺ شيئاً، فقال: «**ذاك عند أوان ذهاب العلم**». قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نَقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك زياد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما**»[1].

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٢٧٢).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبيّ ﷺ أخبر عن زمان يذهب فيه العلم، ويتلاشى. فاستغرب زياد رضي الله عنه، ذهاب العلم مع وجود القرآن الكريم. فلم يخبره ﷺ بأن القرآن وقتها يكون قد رفع، بل بيَّن له أن المسلمين آنذاك، وإن قرأوا القرآن إلا أنهم لا يعملون بما فيه، كما جرى للأمم من قبلهم. وفي هذا إقرار صريح بوجود القرآن بين أظهرهم وقت ذهاب العلم، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

انتشار الشرك والمعاصي في الأمة

بعد دروس العلم، ورفع القرآن الكريم من الأرض، ترجع الجاهلية بكل قوتها إلى حياة الناس، حتى يرجع فريق من المسلمين إلى عبادة الأوثان. وتنتشر المعاصي بين الناس حتى يعلنوا بها، لا يردعهم عنها دين ولا خلق. ومن بقي من هذه الأمة على دينه، فأحسن أحواله أن يبقى متمسكاً بكلمة التوحيد، وأن يوصي بها أولاده من بعده. وقد أشار إلى هذا الحال الذي ينتهي إليه المسلمون حديث حذيفة، الذي ذكرناه آنفاً، وفيه: «. . . **ولَيُسرى على كتاب الله عزَّ وجلَّ في**

ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية. وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: «لا إلٰه إلا الله» فنحن نقولها».

وحديث ثوبان حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان. وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيّين لا نبي بعدي**»[(١)].

وكما ينتشر الشرك في الأمة، كذلك تنتشر المعاصي. ولعل ما ورد من أحاديث عن النبيّ ﷺ بوقوع الخسف، والقذف، والمسخ في هذه الأمة، يتحقق، والله تعالى أعلم، في هذه المرحلة الرديئة من حياة الأمة، أي: بعد رفع القرآن الكريم من حياتها، وانتشار الموبقات بأفضح صورها، من زنا وخمر ولهو، وغير ذلك.

فحينها تأتي العقوبة من الله، إما بخسف الأرض بهم، أو برجمهم بحجارة تحملها الرياح، أو بمسخ صورهم إلى قردة وخنازير.

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن، وقال: حديث حسن صحيح، كما صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٨٠٧).

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خسفٌ وقذفٌ ومسخٌ، إذا ظهرت المعازف[١]، والقينات[٢]، واستحلت الخمر**»[٣].

وحديث أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِي عن النَّبِي ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ[٤] وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ. وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ[٥] يَرُوحُ عَلَيْهِمْ[٦] بِسَارِحَةٍ لَهُمْ[٧]، يَأْتِيهِمْ ـ يَعْنِي: الْفَقِيرَ ـ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ:**

---

(١) «**المعازف**»: جَمْع مِعْزَفَة وهي: آلَات الْمَلَاهِي.

(٢) «**القينات**»: الإماء المغنيات.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٦٧٨)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٦٥).

(٤) «**الحِر**» ـ بِالْحَاءِ الْمَكْسُورَة وَالرَّاء الْخَفِيفَة ـ: هو الْفَرْج، وَالْمَعْنَى يَسْتَحِلُّونَ الزِّنَا.

(٥) «**عَلَم**» ـ بِفَتْحَتَيْنِ ـ وَالْجَمْع أَعْلَام، وَهُوَ: الْجَبَل الْعَالِي، وَقِيلَ: رَأْس الْجَبَل.

(٦) «**يَرُوح عَلَيْهِمْ**»: بِحَذْفِ الْفَاعِل، وَهُوَ الرَّاعِي بِقَرِينَةِ الْمَقَام، إِذْ السَّارِحَة لَا بُدَّ لَهَا مِنْ حَافِظ.

(٧) «**السَارِحَة**»: الْمَاشِيَة الَّتِي تَسْرَح بِالْغَدَاةِ إِلَى رَعْيهَا، وَتَرُوح، أَيْ: تَرْجِع بِالْعَشِيِّ إِلَى مَأْلَفهَا.

ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً، فَيُبَيِّتُهُمْ اللّهُ[١]، وَيَضَعُ الْعَلَمَ[٢]، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٣]»[٤].

❋ ❋ ❋

انتهاء دور الأمّة المحمّدية

وبعد هذه المرحلة القاسية، من دروس العلم، والعمل، ورفع القرآن الكريم، ينتهي دور الأمة المحمّدية من على وجه البسيطة، فتأتي ريح طيبة تأخذ بأرواح المسلمين، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها. وهذه الريح تأتي رحمة لمن بقي من هذه الأمة، كي لا يعاينوا قيام الساعة، لأن الساعة باتت قريبة جداً، ولا تقوم إلا على شرار الخلق.

ودليل هذه الريح: ما رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ**

---

(١) «**يُبَيِّتهُمْ اللَّه**»، أَيْ: يُهْلِكهُمْ لَيْلاً، وَالْبَيَات: هُجُوم الْعَدُوّ لَيْلًا.

(٢) «**يَضَع الْعَلَم**»، أَيْ: يُوقِعهُ عَلَيْهِمْ.

(٣) «**يَمْسَخ آخَرِينَ قِرَدَة وَخَنَازِير إِلَى يَوْم الْقِيَامَة**»: يُرِيد مِمَّنْ لَمْ يُهْلِك فِي الْبَيَات الْمَذْكُور.

(٤) أخرجه البخاري في الأشربة برقم (٥٥٩٠).

الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لاَ أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ. ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ». قَالَ: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ . . .**» الحديث[1].

وهكذا ينتهي دور هذه الأمة في الأرض، وينتهي أجلها. وكما للأفراد آجال لا يحيدون عنها، كذلك الأمم لها آجال محددة لا تتجاوزها. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٤٠).

(٢) سورة يونس، الآية: (٤٩).

عودة الناس إلى عبادة الأوثان

وبعد موت المسلمين الموحدين، يرجع الناس إلى الشرك وعبادة الأوثان.

قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا؟ قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»(١).

وروى أَبِو هُرَيْرَةَ عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**»(٢). وَكَانَتْ صَنَماً تَعْبُدُهَا دَوْسٌ في الْجَاهِلِيَّةِ، بِتَبَالَةَ.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٠٦).

خراب الكعبة المشرفة

بعد رفع القرآن الكريم، وهبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، لا يبقى من شعائر الإسلام على هذه الأرض إلا الكعبة المشرفة. وحينها ينبري أعداء الله لإزالة ما تبقى من معالم الدين الحنيف، الذي أغاظهم طيلة بقائه، ولم يتحملوا حتى بقاء معلم من معالمه بعد غيابه.

وقد ورد في خراب الكعبة وصفة من يخربها عدة أحاديث:

منها: ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبايع لرجلٍ بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب. ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه**»[(١)]. ففي هذا الحديث يخبر النبيّ ﷺ عن قيام الحبشة، وهي أثيوبيا اليوم، بتخريب الكعبة المشرفة.

والظاهر: أن الحبشة لا يخربون الكعبة إلا بعد

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩١)، والحاكم (٤/٤٥٢) وصححه، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٤٢).

موت المسلمين، إذ لو كان وقتها مسلمون لدافعوا عنها، ولجرى قتال بين الطرفين، ولم يشر ﷺ إلى شيء من هذا. وأمر آخر، وهو ما بيَّنه الحديث: من أن الكعبة لا تعمر بعد ذلك أبداً، وهذا أيضاً يدل على ما ذكرنا، إذ لو بقي مسلمون في الأرض، لقاموا على الأقل بعمارة الكعبة، ولم يتركوها خراباً.

وأما الرجل الذي يبايع له بين الركن والمقام، أي: بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم، فيبدو لي أنه المهدي، لأنه ورد في بعض أحاديثه أنه يبايع له بين الركن والمقام. وورد أيضاً أن جيشاً يتوجه لغزو الكعبة، فيخسف به[1]. وأن رجلًا من قريش، وأخواله من كلب، يحارب المهدي، فينتصر المهدي عليه. فالذي يبدو أن المهدي حين يبايع له بين الركن والمقام، ويبدأ ذكره بالانتشار، لا يصبر عليه الحكام الظالمون، فينبرون لقتاله. فمنهم من يوجه جيشاً لغزو الكعبة، من أجل القضاء على المهدي المتحصن في مكة. ومنهم من يتوجه بنفسه، فيستبيح القتال في مكة المكرمة، وقد حرمه الله سبحانه وتعالى منذ خلق السماوات والأرض.

وقوله ﷺ: «**ولن يستحل البيت إلا أهله**»، فيه

(١) راجع حديث أم سلمة في الصفحة: (٢٠٥).

إشارة صريحة إلى استباحة البيت بالقتال المحرم فيه، بسبب الرجل الذي يبايع له بين الركن والمقام. وأيضاً فيه استهجان لهذا الأمر، لأن الذين يتولون استباحة البيت هم أهل البيت، أي: المسلمون، الذين كان الأوْلى بهم تعظيم هذا البيت وليس استباحة القتال فيه.

ثم قال ﷺ: «**فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب**». فيه إخبار عن موت كثير من العرب بعد هذا الحادث.

وهذا أيضاً يتطابق مع قصة المهدي عليه السلام من جهتين:

أولاً: لأن الذين ينبرون لقتال المهدي يهلكون، وفيهم عرب قطعاً، مثل ذاك القرشي الذي أخواله من كلب. وكذا ما ورد في حديث أم سلمة: من أن الجيش الذي يتوجه لغزو الكعبة، ويخسف به، إنما يقدم من الشام.

وثانياً: لكثرة الفتوحات التي تكون في زمن المهدي، والتي يستشهد فيها كثير من المسلمين، وفيهم العرب قطعاً، لأن المهدي منهم، وهم أعز أنصاره حين خروجه. وقد ذكرنا قبل ذلك الأعداد الضخمة من المسلمين الذين يستشهدون في الملحمة الكبرى بين الروم

وأهل الإسلام[١]، ورجحنا عندها أن الملحمة إنما تقع في زمن المهدي. ويؤيد هذا ما ورد في بعض الأحاديث: أن الدجال حين يخرج يكون العرب قلة. وما ذلك، والله أعلم، إلا بسبب نصرتهم للمهدي في فتوحاته كلها، ومنها: الملحمة الكبرى، وفتح القسطنطينية، والملاحم التي تسبق ذلك. فإذا خرج الدجال، وهو لا يخرج إلا بعد الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية، يكون أكثر العرب قد استشهدوا في فتوحات المهدي. وأما الحديث الذي أشرنا إليه، ودل على قلة العرب زمن الدجال، فهو ما رواه جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ قُال: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ شَرِيكٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**هُمْ قَلِيلٌ**»[٢].

❋ ❋ ❋

(١) كما ورد في حديث ابن مسعود الذي مضى في ص(٢٢٦): «. . . **فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ. فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ. . .**» أخرجه مسلم برقم (٥١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٤٥).

صفة تخريب الكعبة المشرفة

روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ**(١) **مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ**(٢) **أُفَيْدِعَ**(٣) **يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ**(٤) **وَمِعْوَلِهِ**(٥)»(٦).

وروى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَن النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) السويقة: تصغير الساق، وذلك لنحولتها.

(٢) «**أُصَيْلِعَ**»: تصغيرُ الأَصْلَعِ، وهو الذي انحسَرَ الشعرُ عن رأْسِه.

(٣) «**أُفَيْدِع**»: تصْغير أفْدَع، ويقال: رَجُلٌ أفْدَعُ، أي: بيّن الفَدَع، والفَدَع: زيغ بَيْن القَدَم وبين عَظْم السَاق، وكذلك في اليَدِ، وهو أن تَزُول المَفاصل عن أماكنها.

(٤) المِسْحاة: هي المِجرفة من الحديد.

(٥) المعول: الفأْس العظيمة التي تكسر بها الحجارة.

(٦) أخرجه أحمد (٢/٢٢٠)، وقال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٠٤): وهذا إسناد جيد قوي. ورواه البخاري في الحج برقم (١٥٩٦)، ومسلم في الفتن برقم (٢٩٠٩) من حديث أبي هريرة مختصراً، بلفظ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**».

قَالَ: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ**[١] **يَقْلَعُهَا حَجَراً حَجَراً**»[٢].

❋ ❋ ❋

طلوع الشمس من مغربها

روى أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عن رَسُول اللّهِ ﷺ أنه قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**»[٣].

بعد وفاة المؤمنين بالريح الطيبة، وعندما لا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق، حينها يأذن الله تعالى للشمس أن تطلع من مغربها.

واعلم أن الترتيب بين علامات الساعة، إنما هو أمر اجتهادي، يرجع فيه إلى النظر والتأمل، وليس فيه نصوص صريحة، تحدد السابق من اللاحق، باستثناء

---

(١) «**أَفْحَج**» على وَزْنِ أَفْعَل، وَالْفَحَج: تَبَاعُد مَا بَيْنَ السَّاقَيْنِ.

(٢) أخرجه البخاري في الحج برقم (١٥٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٥٠٦)، ومسلم في الإيمان برقم (٢٤٨).

بعض العلامات. ومن هنا وقع الاختلاف بين أهل العلم في ترتيب معظم علامات الساعة.

وكثير من أهل العلم ذهبوا إلى أن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، إنما تهب بعد طلوع الشمس من مغربها. والذي يبدو لي أن وفاة المؤمنين تسبق طلوع الشمس من مغربها.

ودليله ما روت عَائِشَةَ رضي الله عنها، أنها سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللّهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا؟ قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ من ذلك مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»[1].

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الناس بعد وفاة المؤمنين يرجعون إلى الشرك، وإلى عبادة اللات والعزى. فلو كانت وفاة المؤمنين بعد طلوع الشمس من مغربها، للزم أيضاً أن رجوع الناس إلى دين آبائهم

(١) سبق تخريجه في ص (٢٨٩).

يكون بعد طلوع الشمس من مغربها، وهذا بعيد، لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة تدعو الناس إلى الإيمان، فكيف يرجعون إلى الشرك بعد هذه الآية العظيمة، سيما وقد أخبرنا النبيّ ﷺ: أن الناس إذا رأوا تلك الآية آمنوا أجمعون، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

كيفية طلوع الشمس من مغربها

روى أَبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه أن النَّبِيَّ ﷺ قال له حِينَ غَرَبَت الشَّمْسُ: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[1]»[2].

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق برقم (٣١٩٩)، ومسلم في الإيمان برقم (٢٥٠).

فبينما الناس يمارسون حياتهم العادية، إذا بهم يفاجأون في صبيحة أحد الأيام بالشمس، وقد أشرقت من مغربها. فعندها يسقط ما في أيديهم، ويسرعون إلى الإيمان بالله واليوم الآخر. والسبب الذي دفعهم إلى الإيمان: أن طلوع الشمس من مغربها أمر غير مألوف لديهم، ولا هو ضمن توقعاتهم العلمية، أو حساباتهم الفلكية، بل هو أمر خارج عن نواميس الكون، ونظام النجوم والكواكب الذي درسوه وأطالوا البحث فيه. لذلك يتيقنون عندها أن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى، وأنه هو الذي يسيّر الكون بما يشاء فيه، وأن نهاية الحياة على الأرض قد أزفت، فيبادرون إلى الإيمان بالله واليوم الآخر. ويؤمن أهل الأرض كلهم، غير أن هذا الإيمان لا ينفعهم، ولا يغني عنهم شيئاً.

والسر في عدم انتفاعهم بالإيمان: أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض، بيّن له أنه سوف يبعث في ذريته رسلًا، يدعونهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وأن من آمن منهم فله الجنة، ومن كفر منهم فله النار.

وكان شرط هذا الإيمان: أن يكون إيماناً بغيب،

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1].

ومعنى الإيمان بالغيب: أن يؤمنوا بالله، دون أن يروه عياناً، ويؤمنوا بالآخرة وما فيها، من جنة، ونار، وحساب، وميزان، وصراط، دون أن يروا شيئاً من ذلك عياناً، وإنما عليهم أن يؤمنوا بالله واليوم الآخر وما يكون فيه، بما أقام الله لهم من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة التي دلت على كل ذلك.

فإذا طلعت الشمس من مغربها، فقد رأى الناس آية دلتهم على الآخرة كأنما يشاهدونها عياناً، فلم يقبل منهم الإيمان، لأنه إيمان بمشاهدة وليس إيماناً بغيب.

ومثل هذا، لو رأى المحتضر ملك الموت يقبض روحه فآمن عندها، لم يقبل إيمانه، لأنه آمن عن مشاهدة، ولم يؤمن عن غيب، والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢، ٣.

خروج الدابة

وقبيل طلوع الشمس من مغربها أو بعدها بقليل، تحدث علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي خروج الدابة. ودليله ما رواه عبدالله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثاً لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً**»(١)، فقد بيّن النبيّ ﷺ التقارب الزمني الشديد بين طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، إلا أنه لم يبيِّن أي الآيتين أسبق.

وسواء تقدمت الدابةُ طلوعَ الشمس من مغربها، أو تأخرت عنها، فكلتا الآيتين إذا خرجتا لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل. وذلك لأن هاتين العلامتين هما بداية قيام الساعة.

وقوله ﷺ في هذا الحديث: «**إن أول الآيات خروجاً...**»، فالأولية هنا ليست على إطلاقها، لأن

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٤١).

خروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام يسبقان طلوع الشمس من مغربها. لأن زمن المسيح عليه السلام زمن خير وانتشار للإسلام، وهلاك لكل الملل في زمانه سوى الإسلام، بخلاف طلوع الشمس من مغربها، حيث يؤمن الكفار فلا يقبل منهم. فالأولية في الحديث مقيدة، ويترجح لي في معناها أن المراد بها: أول الآيات المؤذنة ببدء قيام الساعة، هي طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، فبهما تبدأ مرحلة قيام الساعة، لذلك يمتنع قبول الإيمان من الناس بخروج هاتين الآيتين، لأنهما بمثابة إعلان قيام الساعة، بخلاف الآيات التي سبقت، فإنها لم تؤذن إلا بقرب قيام الساعة، والله أعلم.

ومما يستدل به لهذا المعنى، قول الله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1]، فالدابة لا تخرج على الناس إلا إذا وقع القول عليهم، أي: إلا إذا استحق الكفار عذاب الله الذي أوعدهم به في قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[2].

(١) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٣.

فبخروجها عليهم يستحقون الوعيد، ولا ينفعهم بعد خروجها إنشاء إيمان أو توبة. بل تخرج عليهم، وتخاطبهم قائلة لهم: إن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون. وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية، ونقله عن ابن عباس وقتادة.

❋ ❋ ❋

خروج النار من اليمن

وآخر الآيات المنذرة بقيام الساعة هي: نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى بلاد الشام. روى حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

(١) أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٠١).

فهذه النار تخرج على الناس في أواخر أيام الدنيا، من اليمن، وتكون بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدابة. وتبقى مشتعلة ليلًا ونهاراً، حتى يفرّ الناس منها إلى بلاد الشام. فبلاد الشام هي أرض المحشر، أي: هي الموقع الجغرافي من الأرض الذي سيحشر الناس إليه بعد قيامهم من قبورهم. فقوله في الحديث: «**تسوق الناس إلى محشرهم**»، أي: إلى الأرض التي سيحشرون عليها في الآخرة.

والدليل على أن النار تسوق الناس إلى أرض الشام: ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، يَنْحَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ، لاَ يَبْقَى فِي الأَرْضِ إِلاَّ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذُرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، تَحْشُرُهُمْ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ**[1] **مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ**»[2].

(١) «**تقيل**»: من القيلولة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٨٠/١١): أخرجه أحمد، وَسَنَده لاَ بَأْس بِهِ.

فقوله في الحديث: «**ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم**» أي: إلى بلاد الشام، فإليها هاجر إبراهيم عليه السلام.

وَروى مُعَاوِيَة بْن حَيْدَة، جَدّ بَهْز بْن حَكِيم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ** ـ وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْو الشَّام ـ **رِجَالاً وَرُكْبَاناً وَتُجرّونَ عَلَى وُجُوهكُمْ**»(١).

وبهذه النار تنتهي علامات الساعة، وتكون الساعة كالحامل المتمّ، التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهاراً.

(١) قال الحافظ في الفتح (١١/٣٨٠): أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، وَسَنَده قَوِيّ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣٠٢).

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرسالة، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالعلم الذي بثه رسول الله ﷺ في أمته، وأن يجنبنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، إنه خير مسؤول.